تفسير

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ﴾

تفسـير كلّ آية بجملة (١)

﴿١﴾ - تبتدئ باسم الله الذي لا معبود بحقّ سواه، والمتّصف بكلّ كمال، المنزّه عن كلّ نقص، وهو الرّحمن الرّحيم صاحب الرّحمة. والرّحمة هي الرقّة والعطف. والرّحمن أبلغ من الرّحيم وهو لا يطلق إلا على الله تعالى، الذي يفيض بالنّعم جليلها ودقيقها، عامّها وخاصّها، وهو المتّصف بصفة الرّحمة الدّائمة.

﴿٢﴾ - الثّناء الجميل بكلّ أنواعه وعلى كلّ حال لله وحده، ونُثني عليه الثّناء كلّه لأنّه منشئ المخلوقات والقائم عليها.

﴿٣﴾ - وهو صاحب الرّحمة الدّائمة ومصدرها، ينعم بكلّ النّعم صغيرها وكبيرها.

﴿٤﴾ - وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، يتصرّف فيه تصرّف المالك في ملكه، لا يشاركه أحد في التّصرف ولو في الظّاهر.

﴿٥﴾ - لا نعبد إلّا إيّاك فنخصّك بالعبادة، ولا نطلب المعونة إلّا منك.

﴿٦﴾ - نسألك أن ترشدنا وتوفّقنا إلى طريق الحقّ والخير والسّعادة.

﴿٧﴾ - وهو طريق عبادك المعتدل، الذين وفّقتهم إلى الإيمان بك، ووهبت لهم نعمتيّ الهداية والرّضا، لا طريق الذين استحقّوا غضبك وضلّوا عن طريق الحقّ والخير، لأنّهم أعرضوا عن الإيمان بك والإذعان لهديك.

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون، القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

لطائف الإشارات للبسملة

«**الباء**» في «**بسم الله**» حرف تضمين؛ أي بالله ظهرت الحادثات، وبه وُجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، وحاصل منسوق، من عين وأثر وغبر، وغيرٍ من حجر ومدر، ونجم وشجر، ورسم وطلل، وحكم وعلل، إلّا بالحقّ وجوده، والحقّ مَلِكُه، ومن الحقّ بدؤه، وإلى الحقّ عَوده، فبه وَجَدَ من وَجَد، وبه جحد من ألحد، وبه عرف من اعترف، وبه تخلّف من اقترف.

وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ولم يقل بالله على وجه التّبرّك بذكر اسمه عند قوم، وللفَرْق بين هذا وبين القَسَم عند الآخرين، ولأنّ الاسم هو المسمّى عند العلماء، ولاستصفاء القلوب من العلائق ولاستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان، ليكون ورود قوله: «**الله**» على قلبٍ مُنقًّى وسرٍ مُصَفًّى. وقوم عند ذكر هذه الآية، يتذكّرون من **الباء** (برّه) بأوليائه ومن **السّين** سرّه مع أصفيائه، وفي **الميم** مِنّته على أهل ولايته، فيعلمون أنّهم ببرّه عرفوا سرّه، وبمنّته عليهم حفظوا أمره، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره. وقوم عند سماع ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ تذكّروا **بالباء** براءة الله سبحانه وتعالى من كلّ سوء، **وبالسّين**: سلامته سبحانه عن كلّ عيب، **وبالميم** مجده سبحانه بعزّ وصفه، وآخرون يذكرون عند **الباء**: بهاءه، وعند **السّين**: سناءه، وعند **الميم**: ملكه، فلمّا أعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية أعني ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة، وثبت أنّها منها، أردنا أن نذكر في كلّ سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكرّرة، وإشارات غير معادة، فلذلك نستقصي القول ها هنا وبه الثّقة».[1]

أسباب النزول والمناسبة

هي سورة مكّيّة، أي نزلت في مكّة المكرّمة قبل الهجرة، قاله ابن عبّاس، وقتادة، وأبو العالية ﷺ، وقيل: مدنيّة، قاله أبو هريرة ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزّهري ﷺ، ويقال: نزلت مرّتين، مرّة بمكّة، ومرّة بالمدينة، والأوّل أشبه. وهي سبع آيات بلا خلاف، نزلت بعد سورة المدّثّر.

المعنى العام

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين ﴿٢﴾ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّين ﴿٤﴾﴾

فقولُهُ تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أبدأ كلّ شيء بقول (**بسم الله**)، حيث يشرع ذكرُ اسم الله قبل أيّ عمل أو قول، تبرّكًا وتيمّنًا واستعانةً على الإتمام والتّقبّل.

«**الله**» عَلَمٌ على الربّ تبارك وتعالى، لم يُسمَّ به غيره، يقال: إنّه الاسم الأعظم لأنّه يوصف بجميع الصّفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ﴾[2]، فأجرى الأسماء الباقية كلّها صفات له، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا

(١) ذكره القشيريّ في لطائف الإشارات، باب: سورة الفاتحة، الآية: ١، ج١، ص٤٤.
(٢) سورة الحشر الآيات: ٢٢-٢٤.
(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[١]. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[٢] أحصاها أي حفظها وفهمها وعمل بمقتضاها ودعا بها.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان مشتقّان من الرّحمة على وجه المبالغة، والرَّحمَن أشدّ مبالغة من **الرَّحِيم**، والدّليل على أنّه مشتقّ ما روي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ))[٣] وهذا نصّ في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشّقاق. وإنكار العرب لاسم الرّحمن لجهلهم بالله وممّا وجب له، **والرَّحمَن** اسم عامّ في جميع أنواع الرّحمة للمخلوقات يختصّ به الله تعالى، **والرَّحِيم** رحمته تتعلّق بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٤]، وقال ابن عبّاس ﷺ: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر، أي أكثر رحمة.

واسمه تعالى **الرَّحمَن** خاصّ له لا يجوز أن يُسمّى به غيره، ألا تراه يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[٥]، فعادل بين اسمه **الرَّحمَن** واسمه الذي لا يشاركه فيه غيره أي **الله**، وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٦]، فأخبر أنّ **الرَّحمَن** هو المستحقّ للعبادة. ولما اجترأ مسيلمة الكذّاب وتسمّى برحمن اليمامة، كساه الله جلباب الكذب واشتهر به، فلا يُقال إلا: مسيلمة الكذّاب، فصار يُضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر وأهل الوبر. وأمّا **الرَّحِيم** فإنّه تعالى وصف به غيره حيث قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٧]، وَقِيلَ: إِنَّ من مَعاني **الرَّحِيم** أَيْ بالرّحيم وصلتم إلى الله، فَـ**الرَّحِيمُ** نَعْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ، لذا نعته تعالى بذلك فقال: «**رَءُوفٌ رَحِيمٌ**» فَكَأَنَّ الْمَعْنَى أَنْ يَقُولَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَصَلْتُمْ إِلَيَّ، أَيْ بِاتِّبَاعِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَصَلْتُمْ إِلَى ثَوَابِي وَكَرَامَتِي وَالنَّظَرِ إِلَى وجهي، كما وصف غيره بذلك من أسمائه، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٨] والله أعلم.[٩]

وقوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ أي الشّكر لله خالصًا دون سائر ما يُعْبَد من دونه، ودون كلّ ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النّعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تمكينه للمكلّفين من أداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرّزق، وغذّاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاقٍ منهم لذلك عليه، ومع ما نبّههم عليه ودعاهم إليه، فكل ذلك من الأسباب المؤدّية إلى دوام الخلود في دار المقام في النّعيم المقيم، فلربّنا الحمد على ذلك كلّه أولًا وآخرًا.

كما أنّ لفظ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به الله تعالى على نفسه، وضمّنه أمرًا لعباده أن يثنوا عليه، فكأنّه قال: قولوا الحمد لله، والألف واللّام في ﴿الْحَمْدُ﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى؛ فعن جابر بن عبد الله قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ))[١٠]

(١) سورة الإسراء ، الآية: ١١٠.
(٢)أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: إنّ للّه مائة اسم إلا واحدًا، حديث رقم ٧٣٩٣.
(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: البرّ والصلة، باب: أمّا حديث عبد الرحمن بن عوف، حديث رقم: ٧٢٦٨، وهو صحيح.
(٤) سورة الأحزاب ، الآية: ٤٣. (٥) سورة الإسراء، الآية: ١١٠. (٦) سورة الزخرف ، الآية: ٤٥.
(٧) سورة التوبة ، الآية: ١٢٨. (٨) سورة الإنسان ، الآية: ٢.
(٩) انظر القرطبيّ في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ١، ج١، ص١٠٤-١٠٦، بتصرّف.
(١٠) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، حديث رقم: ١٨٣٤، و إسناده صحيح.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، «**الربّ**» هو: المالك المتصرّف في ملكه، ويطلق في اللّغة على السيّد، وعلى المتصرّف للإصلاح، وكلّ ذلك صحيح في حقّ الله تعالى. ولا يستعمل الربّ لغير الله إلا بالإضافة، تقول: ربّ الدار، وربّ العمل، وأمّا: «**الربّ**»، فلا يقال إلا لله.

و: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع «**عالَم**»، وهو: كلّ موجود سوى الله ﷻ، و«**العالَم**»، جمعٌ لا واحد له من لفظه، و: «**العوالم**»، أصناف المخلوقات في السّموات، وفي البرّ والبحر.

عَنِ ابْنِ عبّاس ﷺ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، مِمَّا يُعْلَمُ وَلَا يُعْلَمُ»، وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عبّاس: «**ربّ الجنّ والإنس**»[1].

وقال الزجّاج: العالم كلّ ما خلق الله في الدّنيا والآخرة. و«**العالم**» مشتقّ من العلامة، لأنّه علَم دالّ على وجود خالقه وصانعه ووحدانيّته ﷻ[2].

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، تقدّم الكلام عليه في البسملة، فقد وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بَعْدَ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بِأَنَّهُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ من اتِّصَافِهِ بِـ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَرْهِيبٌ قَرَنَهُ بِـ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرْغِيبِ. لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ أَعْوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَمْنَعَ، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[3][4]، فلفظ «**الربّ**» فيه ترهيب، ولفظ «**الرّحمن الرّحيم**» ترغيب؛ فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ﴾»[5].

وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ بعض القرّاء: «**مَلِكِ يومِ الدّين**»، وقرأ آخرون: «**مَالِكِ**» وكلاهما صحيح متواتر في السّبع، فهو سبحانه المالك الذي يملك، وهو الملك الذي يحكم بما يملك سبحانه وتعالى، وتخصيص المُلك بيوم الدّين لا ينفيه عمّا عداه، لأنّه قد تقدّم الإخبار بأنّه ربّ العالمين، وذلك عام في الدّنيا والآخرة، وإنّما أضيف إلى يوم الدين، لأنّه لا يدّعي أحد هنالك شيئًا، ولا يتكلّم أحد إلا بإذنه سبحانه وتعالى. عن ابن عبّاس ﷺ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كمُلكهم في الدنيا، ثمّ قال: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[6]. فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ يَوْمَئِذٍ بِالْمُلْكِ دُونَ مُلُوكِ الدُّنْيَا الَّذِينَ تحوّلوا يَوْمَ الدِّينِ مِنْ مُلكهم إِلَى الذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ. فيَوْمُ الدِّينِ هو يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم فيه بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ، إلا من عفا عنه.[7]

فـ«**المَلِكُ**» في الحقيقة هو الله ﷻ، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾[8]، وعَنْ أَبِي

(١) انظر الطبريّ في تفسيره، باب: القول في تأويل قوله تعالى: العالمين، (١٤٥/١)، بتصرّف.
(٢) انظر ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٤، (٤٦/١)، بتصرّف.
(٣) سورة الحِجر ، الآيتان: ٤٩- ٥٠.
(٤) ذكره القرطبي في تفسيره، باب، سورة الفاتحة، الآية: ٤، (١٣٩/١).
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: ، باب: في سعة رحمة الله ، حديث رقم: ٢٧٥٥.
(٦) سورة النبأ ، الآية: ٣٨.
(٧) انظر الطبريّ في تفسيره، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَومِ الدّين﴾، (١٥٠/١)، بتصرّف.
(٨) سورة الحَشْر ، الآية: ٢٣.

هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»[1] و﴿الدِّين﴾: الجزاء والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾[2] وقال: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[3] أي: مَجْزِيّون مُحاسَبون. وفي الحديث: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»[4]، أي حاسب نفسه بنفسه، كما قال عمر رضي الله عنه: «حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبوا، وزِنُوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنوا، فإنَّه أخفُّ عليكم في الحساب غدًا أن تحاسِبوا أنفسَكم اليومَ، وتزيَّنوا للعرض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[5]»[6].

وقوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ٥ اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴿٧﴾﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ «العبادة» في اللّغة: الخضوع للإله على وجه التعظيم، ومن معانيها الذلّة، يقال: طريق معبّد وبعير معبّدٍ، أي: مذلّل، وفي الشّرع: عبارة عمّا يجمع كمال المحبّة والخضوع والخوف. وقُدّم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ وكُرِّر للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إيّاك، ولا نتوكّل إلا عليك، وهذا هو كمال الطّاعة. قال بعض السّلف: «الفاتحة سرّ القرآن، وسرّها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالأوّل تبرّؤ من الشّرك، والثّاني تبرّؤ من الحول والقوّة، وفيه التّفويض إلى الله ﷻ.

لذا يقول تعالى، تتميمًا لتعليم عباده: إذا أثنيتم عليّ ومجّدتموني وعظّمتموني فأقرّوا لي بالرّبوبية، وأظهروا من أنفسكم العبوديّة، واطلبوا منّي العون في كلّ وقت وقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، وكأنّه ﷻ لمّا ذكر أنّه مستحقّ للمحامد كلّها قديمها وحديثها؛ لأنّه ربّ العوالم وقيّومها، أصل الأصول وفروعها، أنعم عليها أوّلًا بالإيجاد، وثانيًا بتوالي الإمداد، فهو مالكها على الإطلاق، إنّه لا يستحقّ أن يعبد سواه، إذ لا منعم على الحقيقة إلّا الله، فهو أحقّ أن يُعبد، وأولى أن يُفرد بالوجهة والقصد[7].

وهنا نرى أنّ الكلام تحوّل من صيغة الغَيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهذا مناسب، لأنّه لمّا أثنى العبد على الله، فكأنّه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى، ولهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، وفي هذا دليل على أنّ أوّل السّورة خبر من الله تعالى بالثّناء على ذاته الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك، ولهذا لا تصحّ صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه.

عَنِ ابْنِ عبّاس رضي الله عنهما أَنَّه قال في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ. وَإِنَّمَا قَدَّمَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَزْمُ هُوَ أَنْ يُقَدَّمَ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ.

فالعبادة مقام عظيم يَشْرُفُ به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى. وقد سمّى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته،

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الرقاق، باب: يقبض اللّه الأرض يوم القيامة، حديث رقم: ٦٥١٩.
٢١) سورة النور، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٥٣.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، عن شدّاد بن أوس، كتاب: الإيمان، باب: وأمّا حديث سمرة بن جندب، حديث رقم: ١٩١، وهو صحيح.
(٥) سورة الحاقّة، الآية: ١٨.
(٦) أخرجه ابن كثير في مسند الفاروق، عن ثابت بن الحجّاج، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الحاقّة، حديث رقم: ٨٨٨، الأثر مشهور وفيه انقطاع.
(٧) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٥، (٦٠/١).

فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[1]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[2]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾[3]، فسمّاه عبدًا عند إنزاله عليه، وعند قيامه في الدّعوة، وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين، حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[4].

ولمّا تقدّم الثّناء على المسؤول، تبارك وتعالى، ناسب أن يعقّب بالطلب والسّؤال، وهذا أكمل أحوال السّائل، أن يمدح مسؤوله ثمّ يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين، بقوله: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، لأنّه أدعى للإجابة، ولهذا أرشدنا تعالى إليه لأنّه الأكمل[5]. ﴿اهدِنَا﴾ والهداية هنا: الإرشادُ والتّوفيق، أي أرشدنا وألهمنا ووفّقنا إلى الطّريق المستقيم، الموصلة إلى حضرة النّعيم، والطّريق المستقيم هو السّير على الشّريعة المحمّديّة في الظّاهر، والتّبرّؤ من الحول والقوّة في الباطن، أو تقول: هو أن يكون ظاهرك شريعة وباطنك حقيقة، فالفَرْقُ على ظاهرك موجود والجمع في باطنك مشهود، وفي الحِكَم: «متى جعلك في الظّاهر ممتثلًا لأمره وفي الباطن مستسلمًا لقهره، فقد أعظم المنّة عليك»[6][7].

والصراط المستقيم هو: الطّريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذلك في لغة جميع العرب.

ثمّ اختلفت عبارات المفسّرين من السّلف والخلف في تفسير «**الصراط**»، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله تعالى وللرّسول ﷺ، فروي: أنّه كتاب الله، وقيل هو الإسلام، وهُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وقيل: هو دين الله الذي لا عوج له ولا يُقبل من العباد غيره. وفي معناه، حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، صَاحِبِ النّبيّ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى الصِّرَاطِ دَاعٍ يَدْعُو يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْلُكُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُّوا، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْلَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي الَّذِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقُ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[8]. وعن مجاهد: «﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ قال: الحقّ، وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدّم.

وعن أبي العالية: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾، قال: «هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[9].

والحديثان الشريفان: «إِنِّي تارِكٌ فيكم أمرين، لن تضلُّوا إن اتبعتموهما، وهما: كتابُ اللَّه، وأهلُ بيتي عِترتي»، وفي روايةٍ: «كِتاب اللَّه، وسُنَّتي». يفيدان الحثَّ على التمسُّك بالكتاب، وباتّباع النّبيّ ﷺ وسُنّته، وبالعلماء وأهل البيت الكرام من بعده، وهو عين اتّباع الصراط المستقيم. وكلّ هذه الأقوال متلازمة، فإنّ من اتّبع رسول الله ﷺ، واقتدى من بعده بآل بيته وبالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فقد اتّبع الحقّ، ومن اتّبع الحقّ فقد اتّبع الإسلام، ومن اتّبع

(١) سورة الكهف، الآية: ١.
(٢) سورة الجنّ، الآية: ١٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٤) سورة الحِجر، الآيات: ٩٧- ٩٩.
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: الفاتحة، الآية: ٥، (٤٩/١-٥٠)، بتصرّف.
(٦) الحكم العطائيّة، لعطاء الله السكندري، الحكمة رقم ١٠٧.
(٧) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٦، (٦٢/١).
(٨) رواه الحاكم في المستدرك، عن النواس بن سمعان، حديث رقم: ٢٤٥، كتاب: الإيمان، باب: وأمّا حديث أشعث بن جابر، وهو صحيح.
(٩) ذكره الطبريّ في تفسيره، باب: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الصِرَاط﴾،(١٧٣/١-١٧٥)،بتصرّف.

الإسلام فقد اتّبع القرآن، وكتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلّها صحيحة يصدّق بعضها بعضًا ولله الحمد[1].

والخلاصة أنّ الصّراط المستقيم الذي أمرنا الحقّ بطلبه هو الجمع بين الشّريعة والحقيقة، والمفهوم من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، ولذلك وصله به، فكأنّ الحقّ ﷻ يقول: يا عبادي احمدوني ومجّدوني وأفردوني بالقصد وخصّوني بالعبادة، وكونوا في ظاهركم مشتغلين بعبادتي، وفي باطنكم مستعينين بحولي وقوّتي، أو كونوا في ظاهركم متأدّبين بخدمتي، وفي باطنكم مشاهدين لقدرتي وعظمة ربوبيّتي.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّين ﴿٧﴾﴾

وقوله ﷻ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ أي اهدنا لاتّباع طريقة حياة الّذين هم أهل الهداية والاستقامة والطّاعة لله ورسوله، وامتثال أوامره، وترك نواهيه وزواجره، وهو مفسّر للمقصود بالصراط المستقيم، فيقول الحقّ ﷻ في تفسير الطّريق المستقيم: هو طريق الذين أنعم اللهُ عليهم بالهداية والاستقامة، والمعرفة العامّة والخاصّة، من النّبيّين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾[2]. والمُنعَم عليهم في الآية مطلق، يصدق على كلّ مُنعَم عليه بالمعرفة والاستقامة في دينه، كالصّحابة وأمثالهم. وقيل: المراد بهم أصحاب سيّدنا موسى عليه السلام قبل التّحريف، وقيل: أصحاب سيّدنا عيسى عليه السلام قبل التّغيير. والتّحقيق أنّه عام[3].

وقوله تعالى: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّين﴾

﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾: هم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحقّ ولكن عدلوا عنه كاليهود الذين حرّفوا وغيّروا و﴿الضَّالِّين﴾: هم الذين ضيّعوا العلم، فأصبحوا هائمين في الضّلالة لا يهتدون إلى الحقّ كالنّصارى الذين ضلّوا عن طريق النبيّين والمنهج الرّبانيّ..

وأكّد الكلام بـ«لا» في قوله « وَلا الضَّالِّين» ليدلّ على وجود مسلكيْن فاسديْن: وهما صراط اليهود والنّصارى.

فإنّ صراط أهل الإيمان مشتمل على العلم بالحقّ والعمل به، واليهودُ فقدوا العمل، والنّصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب على اليهود والضّلالُ للنّصارى، فأخصّ أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[4]، وأخصّ أوصاف النّصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾[5]. وبهذا جاءت الأحاديث والآثار، فعَنْ عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ، قَالَ: رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا بِعَقْرَبٍ، فَأَخَذُوا عَمَّتِي وَنَاسًا، قَالَ: فَلَمَّا أَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَصَفُّوا لَهُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَأَى الْوَافِدُ، وَانْقَطَعَ الْوَلَدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ، فَمُنَّ عَلَيَّ، مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: «مَنْ وَافِدُكِ؟» قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: «الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟». قَالَتْ: فَمَنَّ عَلَيَّ. قَالَتْ: فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ نَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ، قَالَ: «سَلِيهِ حُمْلَانًا». قَالَ: فَسَأَلْتُهُ، فَأَمَرَ لَهَا. قَالَتْ: فَأَتَانِي، فَقَالَتْ: لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا. قَالَتْ: ائْتِهِ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا، فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ، فَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَتَاهُ فُلَانٌ، فَأَصَابَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ، أَوْ صَبِيٌّ، فَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ:

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٦، (٥٢/١)، بتصرّف.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٣) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٧،(٦٥/١).
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٠.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ؟ مَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ » قَالَ: فَأَسْلَمْتُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ، وَقَالَ: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى»[1].

وقد روي تفسير ﴿المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ باليهود، و﴿الضَّالِّين﴾ بالنّصارى عن أناس من الصّحابة ﷺ، منهم: ابن عبّاس وابن مسعود وأبو بكر، وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسّرين في هذا اختلافًا، وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمّة من أنّ اليهود مغضوب عليهم والنّصارى ضالّون، الحديث المتقدّمُ، وقولُه تعالى في خطابه لبني إسرائيل: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

ويستحبّ لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: «**آمين**» مثل «**يس**»، ويقال «**أمين**» بالقصر أيضًا، قال الجوهري: معنى أمين؛ كذلك فليكن. وقال التّرمذيّ: معناه لا تخيّب رجاءنا. وقال الأكثرون: معناه اللّهمّ استجب لهم. والدّليل على استحباب التّأمين: ما روي عَنْ وائل بن حُجْر ﷺ، قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَلَمَّا قَالَ: «﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾»، قَالَ: "آمِينَ" مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ»[3].

كما يستحبّ التّأمين لمن هو خارج الصّلاة، ويتأكّد في حقّ المصلّي، سواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا، وفي جميع الأحوال، لما جاء عن أبي هريرة ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ قال: « إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[4] بمعنى مَنْ وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزّمان، وقيل: في الإجابة، وقيل: في صفة الإخلاص. عن أبي موسى ﷺ، قال: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَنَا فَبَيَّنَ لَنَا سُنَّتَنَا وَعَلَّمَنَا صَلَاتَنَا، فَقَالَ: «وَإِذْ قَالَ - أي الإمام- ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللَّهُ[5][6]» .

أسماء سورة الفاتحة [7]

يقال لها «**الفاتحة**» أي فاتحة الكتاب خطًّا، وبها تُفتتح القراءة في الصّلوات، ويقال لها أيضًا: «**أمّ الكتاب**» عند الجمهور، ويقال لها: «**أُمّ القرآن**» فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي»[8].

ويقال لها: «**الحمد**»، ويقال لها: «**الصّلاة**»، لقوله ﷺ رواية عن ربّه: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي- وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي- فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا

(١) رواه أحمد في مسنده، عن عدي بن حاتم، مسند: الكوفيين، مسند: بقية حديث عدي ابن حاتم، حديث رقم: ١٩٣٨١، وبعضه صحيح.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٠.
(٣) رواه الدارقطنيّ في سننه، عن وائل حجر، كتاب: الصلاة، باب: التأمين في الصلاة بعد فاتحة الكتاب، حديث رقم: ١٢٧١، و إسناده صحيح.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين، حديث رقم: ٧٨٠.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي موسى، حديث رقم: ٤٠٤، كتاب: الصلاة، باب: التشهّد في الصلاة.
(٦) انظر، ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، الآية: ٧، (٥٦/١-٥٨)، بتصرّف.
(٧) قال السيوطيّ في «الإتقان»: وقد وقفت على نيّف وعشرين اسمًا، ثمّ عدّد الأسماء التي ذكرها ابن كثير وزاد عليها.
(٨) رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي هريرة ﷺ ، حديث رقم: ٩٧٩٠، وإسناده صحيح.

قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1]. فسُمّيت الفاتحة صلاةً لأنّها شرط فيها، ويقال لها: «**الشّفاء**»، ويقال لها: «**الرُّقية**» لحديث أبي سعيد الخدريّ ﷺ، حين رقى بها الرّجل اللّديغ، فقال له رسول الله ﷺ: «(وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟)»[2].

وروي عن ابن عبّاس ﷺ: أنّه سمّاها «أساس القرآن» قال: وأساسها «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، وسمّاها سفيان بن عيينة «**الواقية**» وسمّاها يحيى بن أبي كثير «الكافية» لأنّها تكفي عمّا عداها ولا يكفي ما سواها عنها... ويقال لها: «**سورة الصّلاة والكنز**».

وقال البخاريّ في أوّل كتاب التّفسير: «وسُمّيت «**أمّ الكتاب**» لأنّه يُبدأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدأ بقراءتها في الصّلاة»[3]، وقيل: إنّما سُمّيت بذلك لرجوع معاني القرآن كلّها إلى ما تضمّنته.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: والعرب تسمّي كلّ جامع أمرًا أَوْ مُقَدَّماً لِأَمْرٍ إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتْبَعُهُ هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ: أُمًّا. قال: وسُمّيت مكّة «**أُمّ القرى**» لتقدّمها أمام جميع القُرى وجمعها لِما سواها. ويقال لها أيضًا: «**الفاتحة**» لأنّها تُفتتح بها القراءة، وافتتحت الصّحابة بها كتابة المصحف الإمام. وصحّ تسميتها بالسّبع المثاني، قالوا: لأنّها تثنّى في الصّلاة فتُقرأ في كلّ ركعة، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا»[4].

فضل سورة الفاتحة

وردت أحاديثُ نبويّةٌ كثيرةٌ في فضائلِ سورةِ الفاتحةِ وجليلِ قدرِها.

عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَقَرَأَ عَلَيْهِ أُبَيٌّ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ)»[5]

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى ﷺ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟»، ثمّ قَالَ: «(أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ)»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «(لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ)» قَالَ: «(الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)»[6].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، «أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، حديث رقم: ٣٩٥.
(٢) سيأتي الحديث بتمامه في «فضل سورة الفاتحة».
(٣) ذكره البخاريّ في صحيحه، ، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، (١٧/٦).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة الفاتحة، (١٨/١)، بتصرّف.
(٥) رواه أحمد في مسنده، عن أبي هريرة، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: أبي هريرة ﷺ، حديث رقم: ٨٦٨٢، وإسناده صحيح.
(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي سعيد بن المعلى، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب، حديث رقم: ٥٠٠٦.

بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»[1].

عَنِ ابْنِ عبّاس رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا[2] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ». فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[4]، وخداج أي ناقصة.

س فكيف يسأل المؤمن الهداية في كلّ وقت من صلاة وغيرها وهو متّصف بذلك يقول: اهدنا وقد وصف الله المؤمنين بقوله: {وأولئك هم المهتدون}؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أو لا؟

ج لا يكون هذا تحصيل حاصل لأن المؤمن لولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإنّ العبد مفتقر في كلّ ساعة وحالة إلى الله تعالى، في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، وتبصُّره وازدياده منها واستمراره عليها، فإنّ العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كلّ وقت، وأن يُمدّه بالمعونة والثّبات والتّوفيق، فالسّعيد من وفّقه الله تعالى لسؤاله، فإنّه تعالى قد تكفّل بإجابة الدّاعي إذا دعاه، ولا سيّما المضطّر المحتاج المفتقر إليه آناء اللّيل وأطراف النّهار، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾[5]، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل، لأنّ المراد الثّبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المُعِينة على ذلك والله أعلم. فمعنى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استمرَّ بنا عليه، ولا تعدل بنا إلى غيره.

استحضار وتدبُّر معاني سورة الفاتحة في الصّلاة

سورةُ الفاتحةِ أعظمُ السُّورِ القرآنيَّةِ التي جاءت في المُصحفِ الشَّريفِ، وهي أُمُّ الكتاب لقول النّبيّ ﷺ: «قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[6]. وذلكَ لأنَّها افتُتِحَ بِها المُصحف، وهي السُّورة الأولى من حيث ترتيبِ سورِ القرآنِ الكريمِ. وهي تنقَسِمُ في أُسلوبِها العام إلى قسمينِ أساسيَّين:

أوَّلهما: الثَّناء على الله تعالى. **وثانيهما:** الدُّعاء لله تعالى.

ولعظمةِ مكانتها جُعلت رُكنًا أساسيًّا من أركان الصَّلاة، فلا تصحُّ الصَّلاةُ إلَّا بقراءتها. قال رسول الله ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»[1]

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي سعيد الخدريّ، كتاب: الطبّ، باب: النفث في الرقية، حديث رقم: ٥٧٤٩.
(٢) نقيضًا: المراد صوتًا عاليًا قويًّا، وهو الصوت الذي يحدث عند فتح الباب بقوّ.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عبّاس، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، حديث رقم: ٨٠٦.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، حديث رقم: ٣٩٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي سعيد بن المُعلّى، كتاب: تفسير القرآن، سورة الفاتحة، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، حديث رقم: ٤٤٧٤.

نبدأ بالتّعوّذ من الشَّيطان الرَّجيم، فنقول: «أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم»، ومعناه: ألتجئ إلى الله جلَّ في علاه أن يصرف عنّي وسوسةَ الشَّيطان الرَّجيم.

س لماذا نستعيذ باللّه تعالى من الشَّيطان الرَّجيم قبل القراءة؟

ج نستعيذ بالله تعالى من الشَّيطان الرَّجيم قبل القراءة حتَّى لا يكون للشَّيطان علينا سبيلٌ فيبعدنا عن فهم معاني آيات القرآن الكريم، وكي لا يُوسْوس لنا في أثناءِ القِراءة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٢].

فمن يقرأ القرآن الكريم يتأثّر به وفق نيّته، قال تعالى: ﴿..يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفاسِقِينَ﴾[٣] فمن قرأ القرآن على نيَّة الهداية- مهما كان دينُهُ- هداهُ اللهُ تعالى.

ومن قرأ القرآن بلا نيّة الهداية للحقّ، وإنَّما بحثًا عمّا يدعم به فهمه الخاطئ للآيات تبريرًا لأهوائه، أو بحثًا عن الفتنة والجدل، عندئذ قد يكون القرآن الكريم سبب ضلاله.

س وكيف يكون سبب ضلاله؟

ج الشَّيطان يدخل على فهم معانيه، فيفهمه المعاني على نحوٍ خاطئ.

لذا من أراد الهداية بالقرآن الكريم صادقًا، يبدأ قراءته بـ **«أعوذُ باللّه من الشَّيطان الرَّجيم»**: أي ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيني وبين الشَّيطان حاجبًا يُعيذُني ويجنّبني الشَّيطان عند قراءتي للقرآن، فأفهمُه على النَّحو الّذي يُحبُّه ربّي ويرضاه، ولا يكون للشَّيطان عليّ سبيلٌ حيث أنّهُ يوسوس، لأفهم من القرآن خلاف المعنى الّذي يُحبُّه الله تعالى ويرضاه.

وكلّ من قرأ القرآن أو استمع إليه بأُذُن واعية وبقلب صادق مهما كان دينه، سيكون القرآن الكريم سبب هدايته وسببًا في أن تتذكّر روحه ربَّها وتعلّقها بخالقها. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٤].

وكذلك نقول: **«أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم»** لكي نُطَهِّرَ ألسنتنا ممَّا كان فيها من الكذب، والغيبة، والنَّميمة، والفُحش من الكلام، وخُلف الوعد، إلى غير ذلك من معاصي اللِّسان، فلا يَحْسُن أن نذكر بألسنتنا كلامَ اللَّه تعالى بَعْدَ أن كُنّا نتكلَّمُ بأمورٍ لا تَخْلو مِن اللّهو في الكلامِ واللَّغَطِ فيه مِن أمورِ الدُنيا وغيرِها مِن غيرِ كلامِ اللَّه أو حديثِ رسولِ اللَّه ﷺ. لذلك على مَنْ يقرأُ القرآنَ ثمّ يَتَوَقَّفُ ويَتَكَلَّمُ في أمور الدُّنيا، ثمّ أراد أن يقرأَ من جديد، أن يبدأَ بالاستعاذَةِ مرَّةً ثانيةً، إذ لا ينبغي لهذا اللِّسان الّذي تكلَّم في الدُّنيا أن يباشر بقراءَةِ كلامِ اللَّه تعالى قبل أن يتطَهّر بالاستعاذَةِ، فيقول: أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم، ثمّ يبدأ بِقَراءَةِ القرآن. وإنَّ **«أعوذ باللّه من الشَّيطان الرَّجيم»** ليست من القرآن الكريم، وإنَّما أُمِرْنا أن نَقولَها قَبْلَ البَدْءِ بِالقَراءَةِ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عُبادة بن الصّامت، كتاب: الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصّلوات كلّها في الحضر والسفر، حديث رقم: ٧٥٦.

(٢) سورة النّحل، الآية: ٩٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.

شرح معنى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

يبدأ القرآن الكريم بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وهي أوَّل آية في القرآن الكريم. وأوَّل حرف فيه هو: حرف الباء «والاسم»، **بِسْمِ اللَّهِ** أي: بالله كان ما كان، وبالله يكون ما يكون. فكلُّ ما تراه في الوجود هو من خلق الله تعالى، بتجلّي اسم من أسمائه. فالرِّزق من تجلّي اسم الله **الرَّزّاق**، والحياة من تجلّي اسم الله **المُحيي**. والموت من تجلّي اسم الله **المُميت**، والعزُّ من تجلّي اسم الله **المُعزّ والعزيز**. والذُّلُّ من تجلّي اسم الله **المُذلُّ**، والرَّحمة وقضاء الحوائج من تجلّي اسم الله **الرَّحيم**. وجبر الخواطر من تجلّي اسم الله **الجبّار**، وصلة الرَّحم من تجلّي اسم الله **الرَّحمن**، والقوّة من تجلّي اسم الله **القويّ** والمتانة والثبات من تجلّي اسم الله **المتين** وهكذا، كلُّ ما تراه في الوجود مظهَرُ تجلّي اسمٍ من أسمائِهِ سبحانه وتعالى.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: بسم الله كان ما كان، وبسم الله يكون ما يكون. فما ظهر شيءٌ في الوجود إلَّا بتجلّي اسم من أسماء الله تعالى. سواءٌ كان هذا الشَّيء حسيًّا كالشَّجرةِ، والبَحْرِ، والحيوانِ، والإنسانِ، والجنّ، والملائكة، وهذه مخلوقاتٌ حِسّيَّةٌ، أو كان معنويًّا كالكرم، والوفاء، والشَّجاعة، والعزّ، والذُّلّ، أو كان من عالم الخيال، كالرُّؤى، والمنامات والتخيّلات، وكلُّ هذا مظهر تجلّيات أسمائه تعالى. فالمُلك مثلًا مظهر تجلّي اسم الله **المالك**، والكرم مظهر تجلّي اسم الله **الكريم**، وصفة ربّ البيت أو ربّ العمل وكذلك مبدأ التّربية من مظاهر تجلّي اسم الله **الربّ**، وكلُّ ما كان في الكون إنّما كان بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، فهي الّتي تفتح الأبواب لكلِّ شيءٍ، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**كُلُّ كَلامٍ لا يُبْدَأُ فِي أَوَّلِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ**»[1]. أي أقطع، ناقص البركة. وقال ﷺ أيضًا: «**كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أقطعُ**»[2]، فكلُّ شيء نريد فعله يكون باسم الله، فيسنّ أن نذكر اسم الله على كلِّ شيء، خاصّة إذا كان الشَّيء ذا بال محترم. فعندما تبدأ بكتابة نصٍّ، عندما تهمّ بالإجابة عن أسئلة الامتحان، عندما تريد تشغيل سيَّارتك، عندما تفتح باب بيتك أو عملك، أو عندما تبدأ بالأكل أو الشرب تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فكلُّ أمرٍ تريد أن تفعله تبدأه بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنّه بِبسمِ الله كان ما كان، وبِبسمِ الله يكون ما يكون. فنستعين بالله جلَّ في علاه، ونسأل الله سبحانه وتعالى الفتح والفهم.

لذلك تبتدئ سور القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. وعندما نقرأ القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فنحن نريد أن نفهم القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

أهميّة التّعوّذ والبسملة قبل القراءة

إنَّ قولَنا: **أعوذُ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم** تَخليةٌ وتَطهيرٌ، و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ تحلية وترقية وسموّ.

مثال: إذا كنتَ تريد أن تقرأ شيئًا، ولكنّ غشاوة أو رمدًا يحيط بعينيك، فإنّ قولك: **أعوذ باللّه من الشَّيطان الرَّجيم** يكون كالبلسم الّذي ينقّي عينيك، فهذه هي: **(التّخلية)**، وقولك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يكون جِلاءً لِعَيْنَيْكَ ونورًا وبصيرةً كي ترى برؤية أوضح، وهذه هي: **(التّحلية)**.

معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل كلّ سورة من سور القرآن: نبدأ باسم الله نستعين على قراءة القرآن الكريم، وباسم الله نستعين على فهمه وتطبيقِهِ.

(١) رواه النّسائيّ في السُّنن الكبرى، عن الزُّهريّ، كتاب: عمل اليوم واللّيلة، باب: ما يستحبّ من الكلام عند الحاجة، حديث رقم: ١٠٢٥٨.
(٢) رواه الخطيب البغداديّ في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، عن أبي هريرة، باب: ما يبتدئ به المستملي من القول، حديث رقم: ١٢١٠.

القرآن الكريم قرآنٌ مسطورٌ وهناكَ كتابٌ منظورٌ.

القرآنُ المسطور: هو المصحف الّذي بين أيدينا، نقرأ فيه آياتِ اللَّهِ، وأسماءَه ، وصفاتِه وأحكامه والأخلاقَ الحميدة.

والكتابُ المنظور: هو الكَون الّذي خلقه اللَّه تعالى، وأشار إليه في أوّل آية نزلت من القرآن الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] فتلاوةُ كتاب اللَّه المسطور والتدبّر والتفكّر فيه يوصِلُكَ إلى كتابِه المنظور وهو التفكُّر فيما خَلقَ اللَّهُ من هذه الأكوان.

وكأنّه يقولُ اقرأ باسم ربّك الّذي خَلقَ الأكْوان، وخَلقَ الإنسان، وهو ربُّ كلِّ شيء ومَليكُهُ. وقَدْ حَثَّنا النّبيّ الكريم الّذي أُنزِلَ عليه كلام اللَّه ﷺ على أنْ نَفتتحَ كُلّ قراءة بالاستعاذةِ والبسملة وخُصوصًا عِند قِراءتِنا للقرآنِ المَسطور، لأنّ ذَلك سَيفتحُ لَنا آفاقًا جديدة لِقراءةِ الكتاب المنظور.

استحضار معنى «الرّحمن الرّحيم» في البسملة

لكي تُثمِرَ قراءةُ الفاتحةِ أثناءَ الصَّلاةِ في قلبِ المُصلّي، هناك معانٍ ينبغي استِحضارُها والتفكر بها، نذكر من تلك المعاني:

المَعنَى الأوّلُ المطلوبُ استحضارُهُ في الصَّلاةِ عند قراءةِ الفاتحةِ هو:

معنى ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: المتفضّل بجلائل النِّعم على جميع المخلوقات: المسلمِ والكافرِ، والجانّ، والحيواناتِ، والجمادات.

س ما هي جليل النِّعم؟

ج النِّعم العظيمة الجليلة الّتي لا يُمكِن أنْ يأتِيَ بها غير اللَّه تعالى ولا غِنَى لنا عنها، فهي نِعَمٌ أساسيّةٌ وضروريّةٌ. ومن جلائل النِّعم: الوجود، والصِّحّة، والعافية، والأمن والأمان، واللَّيل والنَّهار وتعاقبهما، والضَّوء، وغيرُ ذلك من النِّعم التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى. ومن جلائل النِّعم: فطرة اللَّه التي فطر النّاس عليها، العقلُ، والإيمانُ والطُّمأنينَةُ، وسكونُ القلب - ألّا يَتغَلّبَ عليه وسواسٌ قهريٌّ -، ونعمةُ الوالدين، ونِعمَةُ الأولاد، ونعمة السّمع والبصر، ونعمة القدرة على الحركة، نعمة القدرة على التنفس، نعمة أن يكون لك بيت يأويك وأن تنام في فراشك آمنًا، ونعمة النّبيّ الأكرم قبل كُلِّ شيءٍ والتي هي أجلُّ نِعمةٍ في الوجود. فجليلُ النِّعمِ أساسيّاتٌ وضروريّاتٌ. إنّها النِّعَمُ التي خَلَقَها اللَّهُ لنا وجَعَلَنا محتاجينَ لها.

المعنى الثّاني المطلوبُ استحضارُهُ في الصَّلاةِ عند قراءةِ الفاتحةِ هو:

معنى ﴿الرَّحِيمِ﴾: هو المتفضّلُ على خَلْقِهِ بدقائِقِ النِّعم.

س ما هي دقائق النِّعم؟

ج دقائق النِّعم هي: النِّعم الدَّقيقة أو الكماليّات الّتي يمكننا أن نحيا دون وجودها ولكنّها تجمّل الحياة. فمَثَلًا:

- الطَّعام الذي يُشبع جوعك من جليل النِّعم، بينما الطَّعام اللّذيذ الشَّهيّ من دقائق النِّعم.
- الثِّياب الّتي تكفي لسترك وتدفّئُك من البرد من جليل النِّعم، بينما الثِّياب الجميلة، والأنيقة من دقائق النِّعم.
- المكيّف والمصعد والسَّيّارة كذلك من دقائق النِّعم، وهناك الكثير، فهي لا تعدُّ ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1]

(١) سورة العلق، الآية:١.

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: **هو المتفضِّل بجلائل النِّعم. و﴿الرَّحِيمِ﴾: هو المتفضِّل بدقائق النِّعم.**

والنِّعم كلّها حوائج لنا، وقولُك **بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ**: إقرارٌ بأنّ هذه النِّعم كُلَّها منه، وأنّه وحده من يقضي لك كلّ حوائجك الجليلة التي لا غنى لك عنها، والدقيقة التي تجعل حياتك أجمل وأسهل.

فالحوائج منها ما لا غِنى لنا عنه، مثل العقل والإيمان، والصِّحّة والشّعور بالأمان، وأن تُحِبّ وأن تُحَبّ، وشرب الماء النّقيّ، وأكل الطّعام المُغذّي، والدّواء، والقدرة على التخلّص من الفضلات، والنّوم والرّاحة، وغيرها كثير...، كلّها نِعَم لا غنى لنا عنها ولا يمكن العيش بدونها.

وهناك نِعم نستطيع أن نستغني عنها ولكن تَصْعُبُ الحياةُ بدونها، أو هي من الكماليّات، فمثلًا: النّجاح في عمل ما، الشّعور بحلاوة الإنجاز، والسَّرير المريح، والبيت الواسع والهاتف، والمواصلات، ومسكّنات الألم، كلُّها أمور كماليّة لا تتوقّفُ الحياةُ بعدمِ وجودها.

كيفيّة أداء القراءة في سورة الفاتحة

عند البدء بقراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يُستحبُّ أنْ يتوقَّفَ القارئُ على قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ولا يكمل، خاصَّة في الصَّلاة، فلا يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ موصولة، بل يقرأها بتأنٍّ ويقف على رأس كلِّ آية؛ فقد كان النّبيّ ﷺ يقطعُ قراءتَهُ آيةً آيةً، فعن أمّ سلمة رضي الله عنها، قالت: «إنَّ النّبيّ ﷺ كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثمّ يَقِفُ ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثمّ يَقِفُ»[٢].

إذن من يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يقف ويتفكّر في معانيها أي بجليل النِّعم التي أنعم الله بها علينا. فيتفكّر بها وهو يَستحضِرها بفكرِه وسريرته فيقولُ مثلًا:

- **الحمد لله** الذي أنعمَ عليَّ بالصِّحّة، بعد أن رأيت اليوم مريضًا.
- **الحمد لله** الذي أنعمَ عليَّ بالأمن والأمان، لقد شاهدت في الأخبار حروباً هنا وأعاصير هناك.
- **الحمد لله** الذي أنعمَ عليَّ بالسَّتر في بيتٍ أسكنُهُ يُؤويني من الحرِّ، والبرد، والعواصِف.

فكُلَّما قلت: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ تستحضر أمرًا من جليل النِّعم الّتي أنعم الله بها عليك.

- **الحمد لله** على نعمة الإسلام، **الحمد لله** على نعمة النّبيّ ﷺ.
- **الحمد لله** على أن جعلتنا نؤمن بجميع الأنبياء والرُّسل، من لدن سيّدنا آدم عليه السلام، إلى سيّدنا محمّد ﷺ، مرورًا بسيّدنا إبراهيم عليه السلام، وسيّدنا موسى عليه السلام، وسيّدنا عيسى عليه السلام.
- **الحمد لله** على أن رزقَني زوجَةً صالحةً تُعينُني في حياتي، وتُكمِلُ لي شَطرَ ديني، وأولادًا بَرَرَةً.
- **الحمد لله** أنَّ ديننا يأمرنا بالحبِّ، ولا يأمرنا بالكره والبغض.

وكلَّما قلت: ﴿الرَّحِيمِ﴾: تستحضر أمرًا من دقائق النِّعم.

مثال: تَناوَلتَ اليوم وجبة تحبّها، أو لبستَ ثيابًا جميلة، أو تيسَّر لك أمر كنت تنتظر حدوثه، أو أتتك فكرة مميّزة

(١) سورة النّحل، الآية:١٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن أمّ سلمة، كتاب: التفسير، باب: من كتاب قراءات النّبيّ ﷺ، حديث رقم: ٢٩١٠، وهو صحيح.

لأحد مشاريعك، أو شربت اليوم فنجان قهوة مع صديقك على شاطئ البحر، بنيّة الاجتماع على الله وكان الطَّقس جميلًا، أو حدّثك أحدهم بكلامٍ طيّبٍ أعجبك... تذكّر كلّ هذه الأمور عندما تقول: **الرَّحِيمِ**.

لذا، كلّما قرأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ توقّف عندها، واستحضِرْ مجموعة من النِّعم الجليلة ومجموعة من النِّعم الدَّقيقة التي أنعم الله تعالى بها عليك، ليَمتلِئَ قلبُكَ بالحمد. فإذا أحسَسْتَ أنَّ قلبَكَ قد امتَلأ بالحَمدِ، عندها أَكمِلِ القراءةَ، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، عندها سيخرج **الحمدُ** من لسانك وقلبك معًا. فإذا خرج الحمدُ منهما معًا، يقول تعالى: حَمِدَني عبدي، وأنت طبعًا لا تسمع، ولكن هذه حقيقة، أخبرنا بها النّبيّ ﷺ. فقد قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1].

إذن عند قولك **الحمد لله ربّ العالمين**، يذكرك الله تعالى بقوله: **حمدني عبدي**، وأن يذْكُرَكَ الله فهذا أمرٌ في غايةِ العظمة. الله جلَّ في علاه ذَكَرَكَ، وما أدراك أيّ إكرام هذا!! فذِكْرُهُ لك باقٍ ببقائه، ودائمٌ بدوامه، وكاملٌ بكماله، أمّا ذِكْرُكَ له ففانٍ بفنائك، وناقصٌ بنُقصانك، وزائلٌ بزوالك. وفي هذا معنى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2]. فأن يذكُرَكَ الله تعالى هو أكبر ما في الصَّلاة.

س كيف يذكرك اللّه تعالى؟

ج إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، واستحضرتَ معانِيَ جليلِ النِّعَمِ ودقائِقَ النِّعَمِ، امتلأ قلبُك بالحمد، فحينئذٍ يخرجُ الحمد من قلبك ولسانك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وعندها يذكرك اللّه تعالى ويقول: حَمِدَنِي عَبْدي. أي يذكرك باسمك، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[3]، وهذا أعظم ما في الصَّلاة، فأنت تصلّي بين يديه، تذكره فيُذكرُك. «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[4]

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...﴾[5] أمرٌ عظيمٌ وكبير، أن يوفقك الله أن تقف بين يديه لتصلّي فتقوى بذلك على نفسك وشيطانك ثمّ تتجنب الفحشاء والمنكر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[6] أي أنّ ذكر الله تعالى لك أكبر ما في الصَّلاة، وأكبر شيءٍ على الإطلاق.

والصَّلاة محلُّ المناجاة، وَمَعدِنُ المُصافاةِ، لأنَّك تبدؤها بذكر نِعم الله عليك، فتحمد الله تعالى، وهذا بحدِّ ذاته يُذهب الهمَّ والغمَّ والحزن من القلب. ثمّ تقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، حديث رقم: ٣٩٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية:٤٥.
(٣) سورة البقرة، الآية:١٥٢.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: التوحيد، باب: قول اللّه تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفسَه﴾، حديث رقم: ٧٤٠٥.
(٥) سورة العنكبوت، الآية:٤٥.
(٦) سورة العنكبوت، الآية:٤٥.

شرح معنى: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾

الرّبُّ: هو المطاع المدبّر للأمور، ونقول: ربّ البيت، أو ربّ العمل.

واللَّه تعالى هو: ربُّ العالمين، وهو المطاع في العوالم كلِّها، وهو المدبّر لها كلّها. فهو سبحانه الّذي يَستحقُّ الحمد بأجمعِه؛ إذ له الأسماء الحُسْنى والصفاتُ العُلى، ليسَ بعدَ ثَناء اللَّه كَما أثنَى على نفسِه ثناءٌ، فَلهُ الثّناء الكامِل فنحنُ نُثني عليه بما أثنى هو سُبحانه على نفسِه. وتتضمّن هذه الآيةُ أَمْرًا من اللَّهِ لعبادِه أن يَحمَدُوه، فأيُّ حمدٍ يتوجّهُ إلى مخلوق ما، فهو على الحقيقة للَّه تعالى، لأنّ النّاس إذا مدحوا مخلوقًا ما، إنّما مدحوا نعمة اللَّه تعالى على هذا المخلوق وما أكرمه به من صفات حميدة، فإذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك.

س ما الفرق بين الحمد والشُّكر؟

ج الحمد على الصِّفات، والشُّكر على النّعم.

فالحمد هو أن تقول: فلانٌ كريمٌ، عظيمٌ، شجاعٌ، هو لم يُنعم عليك بشيءٍ، ولكن هذه صفاته، وبخاصَّة إذا كان من رجال التَّاريخ. مثلًا: سيّدنا عمر بن عبد العزيز كان رجلًا عابدًا وكريمًا وعادلًا، تحمد صِفاته وتُثني عليها، ولكن لا تشكره، تشكره عندما يقدّم لك معروفًا.

وقد يدخل الحمد في المعنيَيْن. وإذا أردنا أن نفرّق بينهما، فالحمد للصِّفات والشُّكر على الأفعال والإنعام.

س ما معنى العالمين؟

ج هي عوالم لا يعلم عدَدَها إلَّا اللَّهُ تعالى. هناك ألوفٌ، أو عشراتُ الألوفِ، أو مئاتُ الألوفِ، كعالَمِ الإنسانِ، وعالَمِ الملائِكَةِ، وعالَمِ الجنِّ، وعالَمِ الحيوانِ، وعالَمِ الطُّيورِ، وعالَمِ الحشراتِ، وعالَمِ النَّباتِ، وعالَمِ البِحارِ، وعالَمِ الكُرسِيِّ، وعالَمِ العَرشِ، وعالَمِ السَّماءِ الأولى، والثَّانِيَةِ والثَّالثَةِ والرَّابعةِ والخامسةِ والسَّادسةِ والسَّابعة، وعالَمِ البرزخِ، وعالَمِ الحِسابِ، وعالَمِ الميزانِ، وعالَمِ الصِّراطِ، وهناك عالَمُ الخيالِ، ومنه المنامات والرُّؤى والتّخيّلات في اليقظة، وعالَمُ المِثَالِ، وكلُّها مذكورةٌ في القرآنِ الكريم. عوالِمِ خَلقَها اللَّهُ سبحانَهُ وتَعالى، وهو ربُّها ومدبّرُ أمْرِهَا جَمِيعِها.

تقول: هذا مديري في العمل يقوم بتدبير أمور العمل بشكل جيّد جدًّا، ولكنَّه لا يدبّر لي شؤوني الزَّوجيَّةِ فهي بيني وبين زوجتي. وإذا كانت أموري في العمل جيّدةً فذلك بسبب المدير الّذي يدبّر الأمرَ جيّدًا. ولكنّك تحتاجُ لمن يدبّر أمورَ عَمَلِكَ ورِزقِكَ، وشؤونِكَ الزَّوجيّة، وشؤونِك الصِّحّيّة، وتربيةِ أولادِكَ، ودينِكَ، وآخِرتِكَ...

اللَّه سبحانه وتعالى، أرشدك إلى ما فيه صلاحُ رِزقِكَ، وحياتِكَ، وصحّتِكَ، وعافِيتِكَ، وزواجِكَ، وأولادِك، ووالدِيك، ودينِكَ، وسعادَتِكَ، وآخِرتِكَ، وكُلِّ شؤونِكَ.

والعوالمُ كُلّها منطويةٌ فيك أيُّها الإنسان من عالم الملك والملكوت: عالم الملك وهو العالم المشاهد والمحسوس ومنه جسدك، وعالم الملكوت وهو عالم غيبيّ لطيف غير مشاهد وغير محسوس ومنه روحك.

يقول سيّدنا عليّ رضي الله عنه:

" أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى العَالَمُ الأَكْبَرُ "[1]

(١) ذكره المغربيّ في البدر التمام شرح بلوغ المرام، كتاب: الصّلاة، باب: صفة الصّلاة، (٣٢/٣).

س من الّذي يدبِّر عالَم المُلْكِ لك؟ ومن الّذي يدبِّر عالَمَ الملكوتِ لك؟ ومن الّذي يدبِّر عالَمَ القَلبِ والعَواطِفِ والمَشاعِرِ والأحاسِيسِ لك؟

ج اللّه تعالى والحمد للّه، ربٌّ واحدٌ يدبّر كلَّ الأمور. فلا تحتاج أن تلتجئ إلَّا إليه ولا أن تطلب العون إلَّا منه.

أتعلم ما تؤول إليه الأمور إذا كان هناك أرباب متفرّقون، وكلٌّ يدبّر من مكان ويخرّب من مكان؟! إنّ ذلك أشبه بطبيب يعطيك دواءً ليعالج مشكلة ما، وطبيب آخر يعطيك دواءً آخر دون أن يلتفت إلى تأثيره المؤذي وأضراره الجانبية على الجسم ككلّ، والجسم كلُّه مترابط، فتكون النّتيجة سيّئة. وتخيّل لو أنّ قلبك له ربٌّ، ومشاعرك لها ربٌّ، وإيمانك له ربٌّ، وجسمك له ربٌّ، وآخرتك لها ربٌّ، لتنازَعَتِ الأرباب مع بعضها البعض، الحمد للّه أنّ جميعَ عوالِمكَ، وجميعَ العوالم لها ربٌّ واحدٌ، ومدبّرٌ واحدٌ، هو أحكم الحاكمين، موصوفٌ بكلِّ صفات الكمال التي يُحمد عليها فهو حكيمٌ، عليمٌ، قديرٌ، رحيمٌ، حليمٌ، عظيمٌ، حنّان، منّان، مهيمن، يدبّر العوالم كلَّها.

شرح معنى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي وسعت رحمته جميع الخلق في الدنيا، ﴿الرَّحِيمِ﴾ يخص بالرّحمة الواسعة للمؤمنين في الدنيا والآخره .

وهما اسمان من أسمائه تعالى، يتضمّنان إثبات صفة الرَّحمة للّه تعالى كما يليق بجلاله. والرّحمة هي الإحسان وقضاء الحوائج.

س لماذا الإعادة لاسمي: «الرَّحمن الرَّحيم» في موضعين في السّورة؟

ج - اسما ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ معناهما: المتفضِّل بجلائل النِّعم وبدقائق النِّعم.

- اسما ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ مرَّة ثانية، معناهما المتفضِّل بالنِّعم الباطنة.

س ما النّعم الباطنة؟ وما معنى المتفضِّل بالنِّعم الباطنة؟

ج النِّعم الباطنة هي البلاءات والامتحانات.

فالإنسان بحاجة إلى امتحان، وبحاجة إلى بلاء حتَّى يتعرَّفَ إلى أسماءِ اللّه تعالى.

مثال: التِّلميذ في المدرسة لن يتعلَّم إذا لم يقدِّم الامتحانات، ولن يتعلَّم إلَّا إذا سبر الشّيء (قاس غوره ليتعرّف عمقه) وقدَّم المذاكرات، وأخطأ وتعلَّم من أخطائه، وللّه المثلُ الأعلى.

اللّه تعالى جعل في دارِ الدُّنيا ابتلاءاتٍ وامتحاناتٍ، فقال اللّه تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]

كلُّ إنسان لا بدَّ أن يمرَّ بخمسة أشكال من الابتلاءات المتنوّعة:

١- بشيءٍ من **الخوف**: يكون إمَّا بالحرب، وإمَّا بالقلق.

٢- بشيءٍ من **الجوع**: إمَّا بالمرض، وإمَّا بالفقر أو بالصِّيام.

٣- بنقصٍ من **الأموال**: إمَّا بتلف المال، وإمَّا بالسَّرقة، وإمَّا بالانهيارات الاقتصاديَّة.

٤- بنقصٍ من **الأنفس**: إمَّا بفقد والدين أو زوجة أو بعض الأولاد، وإمَّا بموت الأحبَّة.

(١) سورة البقرة، الآيات:١٥٥-١٥٧.

٥- بنقصٍ من **الثَّمرات**: إنّما ببعض الأعمال الّتي تقوم بها لا تثمر، فربّما لم تخسر مالًا، ولكنّك قد تخسر أحيانًا جهدًا وتعبًا بذلته فلم يأتِ بالنتيجة المرجوّة، كشجرٍ تعرّض لآفّةٍ زراعيّةٍ أو قَحط، أو صقيع، أو غير ذلك من الأعاصير والسُّيول والجراد..

س لماذا تتنوّع الابتلاءات؟

ج لأنَّه ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فاللّه تعالى يعلم أيَّ بَلاءٍ يصلح لك، ليزيدك معرفةً به وتقرّبًا إليه، فلا يكلّفك إلّا وسعَك، ويبدّل بَلاءَكَ حَسْب مصلحتِكَ في كلّ حين، فالحمد للّه الّذي بيده بلائي، ولو أنَّ هذا البلاء بيد أحد غير اللّه تعالى لأنزل بك من البلاء ما لا تتحمَّل، أو لأعطاك بلاءً لا يتناسب مع ظرفك الحالي، فالحمد للّه أنَّ البلاء بيده سبحانه.

علينا أن نؤمن أنَّ البلاء هو عين العطاء: فليس المقصود من البلاء هو البلاء بذاته، وإنَّما المقصود من البلاء العطاء، تمامًا كما تمنع ولدك من فعل ما لا ينبغي، أو من فعل ما يعود عليه بالضَّرر. وكما تجبر ولدك على الذَّهاب إلى الطبيب، والذّهاب إلى المدرسة وقد تستعين ببعض الأساتذة لتدريسه حتّى يخوض الامتحانات، وأنت تعلم أنّه يريد اللّعب واللّهو، فما تسعى إليه في نظر ولدك بلاء، ولكنَّه في الحقيقة عَينُ العَطاءِ، وللّه المثلُ الأعلى. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]

النِّعم التي أكرمنا اللّه ﷻ بها كثيرةٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى، وهي على قسمين:

١- النِّعم الظَّاهرة وهي النِّعم المعروفة.

٢- والنِّعم الباطنة وهي الابتلاءات الّتي تزيدك معرفةً وقربًا منه تعالى.

لذلك عندما نقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ نُقرُّ بالنِّعم الّتي أنعم اللّه ﷻ بها علينا، وهي النِّعم الظَّاهرة ونُقرُّ له بالنِّعم الباطنة، فقد قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[2] فنرى أنّ البلاءَ نِعمةٌ، لأنَّ اللّه تعالى علّمنا بقوله: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3] فالبلاء الحاصل هو خيرٌ لنا دائمًا، وهذا البلاء هو من اللّه تعالى.

س كيف ارى البلاءَ نعمة وأنا أخسر في هذه الدّنيا؟

ج كم من بلاء أنت تراه بلاء، ولو كشف لك الغطاء لرأيته نعمة وعطاء، فكم من شاب نشأ فقيرًا وكان يتمنّى لو يتمكّن من الحُصول على العَديد من النِّعَم (كسيّارة فارهة وسفر، وثياب فاخرة، والذّهاب إلى المطاعم وغير ذلك...) كباقي رفاقه، ولكن تبيّن له بعد ذلك أنّ فقره هذا كان دافِعًا عَظيمًا للاجتهاد والعَمَل الدَّؤوب، وكان سبب نجاحه في عَمَلِهِ وفي حَياتِهِ، بَيْنَما العَديد مِن رِفاقِهِ الَّذينَ اعْتادوا عَلى الحَياة المرفهة صاروا فاشِلين في عَمَلِهِم وحَياتِهِم.

هَذا فَضلًا عن أَنَّ الإِنْسان يَسْعَد بالتَّقَرُّب مِنَ اللّه والالتِجاء إِلَيْهِ، فَكَثيرًا ما يَطْغى الإِنْسان إذا استَغْنى، أَيْ إذا جاءَتْهُ النِّعَم وَلَمْ يَأْتِهِ البَلاء، كَما قال تَعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنسانَ لَيَطْغَىٰ* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[4]، وإنّ الإنسان إذا طَغى ظَلَمَ غَيْرَهُ واستَكْبَر، وكُلّ ذلِكَ يَعودُ عَلَيه بالشُّعور بالكآبة والشَّقاء في الدُّنيا وفي الآخِرَة. بَيْنَما البَلاء يُذَكِّر الإنسان بِضَعْفِهِ وبِحاجَتِهِ لِرَبِّهِ، فَيَلْتَجِئ إِلَيْهِ ويَتَضَرع إليه بأَسْمائِهِ الحُسنى، فَيَتَقَرَّب مِن اللّه تَعالى وتتحسّن أخلاقه، وَيَسْعَد في الدُّنيا وفي الآخِرَة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦. (٢) سورة لقمان، الآية:٢٠. (٣) سورة لقمان، الآية:٢٠. (٤) سورة القلم، الآيتان: ٦- ٧.

ثمّ لا تَنْسَ أَنَّكَ لا تَعيش للدُّنْيا فَقَط بَل هِيَ مَرْحَلة قَصيرة جِدًّا من حَياتِكَ الأَبديَّة، فَلا تَجْعَل الدُّنيا أَكْبَر هَمِّك ولا مَبْلَغ عِلْمِك، بَل عَلَيْكَ أَنْ تَهْتَمّ بإصْلاح دُنْياك وآخِرَتك (الّتي هِيَ حَياتك الحَقيقيَّة الأَبَدِيَّة السَّرْمَدِيَّة)؛ لذلِكَ لا بُدَّ لَكَ أَنْ تَمُرَّ بِهَذِهِ البَلايا، حَتّى تَتَعَرَّف إلى أَسْماءِ اللهِ تَعالى الجَلاليَّة والجَماليَّة. تَمامًا كَحال الطِّفل الّذي يَنْظر لِمَصْلَحَتِهِ الآنيّة يُريد أَنْ يَلْعَب ويسهر ويُشاهِد التّلفاز ويَأْكُل المَأكولات اللّذيذَة وإن كانَت ضارّة، فَهُوَ لا يَرى مُسْتَقْبَلَهُ عِنْدَما يُصْبِح رَجُلًا، ثمّ مُسِنًّا، وما يَحتاج إلَيْهِ مِن عِلم وأَخْلاق سَوِيَّة، وبُنية قَوِيَّة صَحيحة، فَهذا الأمر خَبِرَهُ والِداه فيُعَلِّمانه لأَنَّهُما مَرّا بِهَذِه التَّجرُبة. وهَكَذا الإنْسان الجاهِل لا يحسب حِساب الحَياة الأُخْرى الَّتي هُوَ مُقْبِل عَلَيْها لا مَحالَة، كَما أَنَّ الطفل سَيَكْبر يَوْمًا ما، ويَرى أَنَّ ما كانَ يَمْنَعُه مِنه والِداه هُوَ عين العَطاء ويَشْكُرُهُما عَلَيه.

والبلاء صنفان:

١. بلاء شامل عامّ: وهو بلاء ينزل بك وبغَيرِكَ، كحدوثِ زلزالٍ مثلًا، أو اندلاع الحروب، أو حصول انهيارٍ اقتصاديّ، أو مَرَضٍ عامّ، مثل الكورونا.

٢. بلاء خاصّ بك: أنت ترى أنّ النّاس حولك بخير ولكن أنت وقعت في ابتلاء، كتعرّضك لخسارة كبيرة في تجارتك، أو لمرض يستلزم عمليّة جراحيّة خطيرة مثلًا. فهذه الابتلاءات الخاصّة تَوَلَّدَت من معاني اسم الله **الرَّحيم**.

وهذا كلّهُ خيرٌ لك، فرجوعك إلى الله بالتبرّؤ من حولك وقوّتك، وصبرك على البلاء، والتضرّع بانكسار بين يدي الله تعالى عند فهمك أنّ الأمر كلّه بيده وحده، وأنّهُ سبب للقرب من مولاك، وفيه رفع لدرجاتك في الجنّة، وقد قالَ عُبادَةُ بْنُ الصّامِتِ رضي الله عنه لِابْنِهِ: «**يا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمانِ حَتّى تَعْلَمَ أَنَّ ما أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ**»[1]، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[2].

واعلم أنّ هذا البلاء الّذي أصابك هو عين العطاء من الله تعالى.

- تُقِرُّ لله تعالى بالنِّعم **الظّاهرة** وتحمده عليها.

- تُقِرُّ لله تعالى بالنِّعم **الباطنة** وتحمده عليها.

- تقرُّ بأنّ هذه الابتلاءات من الله تعالى، وأنَّ فيها خيرًا عظيمًا، وأنّ الخير فيما انطوى عليه هذا البلاء.

وهذا ما حصل مع سيّدنا الخَضِرِ وسيّدِنَا موسى عليهما السلام عندما خَرق الخَضِرُ السَّفينة. فظاهِرُ ما حدثَ - خرقُ السَّفينةِ- هو بلاءٌ، ولكنَّ حقيقتَهُ أنّ هذه السَّفينةَ كانت ستمرُّ على ملكٍ ظالمٍ يأخذ كلَّ سفينةٍ غصبًا، ولو أنّ السَّفينةَ كانت سليمةً لكان المَلِكُ أخَذَ السَّفينةَ وسَجَنَ أهْلَها، ولكن عند خرق الخضر عليه السلام السَّفينة مَرّتْ من غير أن يأخذها، ويَسجُنَ أهلَها، واقتصرَتْ الأضْرار على تصليحِ الخَرقِ.

فالنّتيجةُ: كُلُّ أمر ظاهره فرُبَما يكون بلاء هو عينُ العطاء.

وخلاصة ذلك كُلِّه في قوله تعالى:

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وكأنَّ هذه الآية تُشيرُ للنّعم **الظّاهرة**.

(١) رواه البيهقيّ في السُّنن الكبرى، عن عبادة بن الصّامت، كتاب: الشهادات، باب: ما ترد به شهادة أهل الأهواء، حديث رقم: ٢٠٨٧٥، وهو حسن.

(٢) رواه التّرمذيّ في سننه، عن ابن عبّاس، كتاب: صفة القيامة، باب: ٥٩، حديث رقم: ٢٥١٦، وهو حسن صَحيح.

٢- ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ* الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وكأنَّ الآية الثّانية تُشيرُ للنّعم **الباطنة** وهي الابتلاءات لأنّ الربّ يربّي، ومن جملة التّربية الامتحانات.

شرح معنى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾

هو سبحانه وحده مالكُ يومِ القيامَةِ، وهو يومُ الجزاءِ على الأعمال.

وفي قراءةِ المسلمِ لهذه الآيةِ في كلِّ ركعةٍ من صلواته تذكير له باليوم الآخر، وحثٌّ له على الاستعداد بالعمل الصّالح، والكفِّ عن المعاصي والسّيئات.

وبهذا المعنى ألقى اللَّهُ تعالى يومَ الدّينِ: بأنّني أعترِفُ بالنِّعم، وأعترفُ بفضلِ اللَّهِ تعالى، وأرضَى بقضاءِ اللَّهِ تعالى، فهو ﴿مالِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾ أي يوم الحساب، فالمؤمن يعلم أنَّ كلَّ شيء يعيشه الآنَ سوفَ يحاسَبُ عليه. تمامًا كالتِّلميذ في المدرسة، يدرس ويستعدّ للامتحانات الفصليّة كامتحانِ آخِرِ العام الدِّراسيّ، فإذا وفَّقكَ بين يديّ اللَّه تعالى لأنْ تحمد اللَّه على النِّعم، وترضى بالبلايا والنّقم، عندها تنجو يوم الدّين.

إنَّ اللَّه سبحانه وتعالى يحبُّ عبده الشَّكور، ويحبُّ عبده الرَّاضي بقضائه، فلا يحاسِبُه على الزَّلل، ولا يحاسِبهُ على الخلل، ولا يحاسِبهُ على النَّقْصِ. فإذا جاء العبد شاكرًا لأنعُمه، ومستغفرًا لِذنوبِهِ يَدخُلُ عندها في قول اللَّه تعالى: ﴿وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ﴾[2].

وليُعْلَم إن كنت تشكر وتستغفر اللّٰه تعالى فلن يعذّبك. وإن كنت ترضى بقضاء اللّٰه تعالى فسيعفو عنك و يغفر لك سبعين ألفًا من هذه الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ سيدخلون الجنَّة بغير حساب، ومع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا. هذا ما بشّرَ به رسول اللَّه ﷺ أُمَّتَهُ، وفضلُ اللَّهِ أوسع وأكبر وأعظم.

فإذا فهمتَ الفاتحة وعملتَ بمقتضاها، فُتحتْ لك أبوابُ الجنّةِ الثمانية وحيل بينك وبين أبواب النار السبعة. فإذا أتقنتَ العمل بها كُنتَ بفضل اللّٰه ورحمته ومَشيئَتِهِ مع السَّبعينَ ألفًا ودخلتَ الجنَّةَ بإذن اللَّه بلا حِساب، و﴿مالِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾ لا يحاسبك في يوم الدّين.

﴿مالِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾: آية تُخْبِرُكَ وتَشعِرُكَ وتُذَكِّرُكَ بالحياةِ بعد الموت، فالحياة الدُّنيا مرحلة قصيرة، إنَّما أرادها اللَّه تعالى دار امتحان. أمّا الحياة الحقيقيَّة فتبدأ بعد الموت. ومن ثمّ عالم البرزخ، وبعده البعث والنُّشور، نُبعثُ من قبورنا ، وتعود أرواحنا إلى الأجساد، فنقوم من قبورنا أرواحًا وأجسادًا، ونقف بين يدي اللَّه تعالى للحساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ممّا نَعُدُّكَ في حياتنا الدُّنيا وهو **يَوْمُ الدّينِ**.

س لماذا نقوم أرواحًا وأجسادًا؟

ج إنَّ هذه الأرواح والأجساد كانت معًا، سواء أطاعت أم عصت، وليست الرُّوح المجرّدة هي الّتي أطاعت أو عصت، وإنَّما روحك الّتي في جسدك. فلمّا اجتمعت الرُّوح مع الجسد كانت منها الطَّاعة أو المعصية.

لذلك فإنّ الحساب يكون للرُّوح والجسد، ودخول الجنَّة للرُّوح والجسد، ودخول النَّار للرُّوح والجسد.

يخلق اللَّه تعالى أجسادنا من جديد، وأرواحنا بالأصل لم تفنَ بعد الموت، حيثُ تَعودُ الأرواح في الأجساد ثمّ يقوم

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣. (٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

الإنسانُ في يوم الدّين لرب العالمين، ويُساقُ النّاسُ إلى موقفهم زُمرًا زُمرًا كلٌّ في زمرته، فمنهم من هو في زمرة النّبيّ محمّدٍ ﷺ، وفهم من هو في زمرة الصّالحين، ومن هو في زمرة الذّاكرين، ومن هو في زمرة الصّائمين، ومن هو في زمرة الفاسقين، ومن هو في زمرة الظّالمين، ومن هو في زمرة أهل الدُّنيا، ومن هو في زمرة أهل اللّهو، وهكذا زمرًا زمرًا.

شرح معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

أيّ: إنّا نخُصُّكَ يا ربِّ وحدَكَ بِالعبادةِ، ونستعينُ بك وحدك في جميعِ أمورِنا. فالأمر كلُّه بيدك، ولا حول ولا قوّة إلّا بك، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أنَّ العَبدَ لا يجوزُ له أن يَصْرِفَ شيئًا من أنواعِ العبادَة: كالدُّعاء، والاستغاثَةِ، والذَّبحِ، والطَّوافِ إلّا لله وحده، وفيها شفاءُ القلوبِ من داءِ التَّعلقِ بغير الله تعالى، ومن أمراضِ الرِّياء، والعُجْبِ، والكِبرِيَاءِ.

فبعد ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، جاءَت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهنا تحوَّلَ الخطاب في سورة الفاتحة من مقام الغائب إلى مقام الحاضر وهذا ما يسمّى في علم البلاغة بالالتفات، وهو الانتقال بالكلام من صيغة التكلّم أو الخطاب أو الغيبة والمواجهة بكافِ الخطاب فكأنّهُ اقتربَ وحَضَرَ بين يدي الله تعالى، إلى صيغة أخرى، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتدبّر في مواقع الالتفات، شرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدًا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأوّل وهو الحاصل في هذه الآيات الكريمات. يعني: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ أنا أُخاطب غائبًا حاضِرًا وهو معنا أينما كُنّا. ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ أُخاطب غائبًا حاضِرًا وهو معنا أينما كُنّا.

ثمّ انتقلت في قول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى خطاب المواجه، فلم يقل: **إيّاه نعبد**، بل قال: **إيّاك**، لأنّه بعد استحضار هذه المعاني، أوقفك الله تعالى بين يديه، فقال لك: «**يا عبدي اسألني ما تريد**».

فبعد أن قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، وحمدت الله تعالى، وتذكّرت نِعَمَهُ الكثيرة عليك، ثمّ شَكَرت هذه النِّعم وأذعَنْتَ افتقارك إليه وتوكلك عليه وكأنّك تُفَوِّضُهُ وتطلُب منه الإستعانة بكل شؤونك التي حَصلَتْ مَعك صغيرها وكبيرها، إذ كلٌّ مِن عند الله تعالى، كالمَصائب الّتي نزلت بك اليوم: فلان آذاكَ بكلام كدّرك، أو ساءَكَ بردٌ أو حرٌّ شديد، أو خسرت صفقة مهمّة...

وبعد أن استحضرت هذه المعاني: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ أوقفك الله بين يديه، وقال لك: عبدي اسألني ما تريد، فإنّي سأعطيك، كما قال: «فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله تعالى: «هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وهنا انتقال إلى الخطابِ المباشر مع ربِّ العالمين، فتقولُ له: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: إلهي أنتَ المقصُود وأنت المعبود لا غيرك...

س لماذا قدّم إيّاك على نعبد؟

ج قدَّم إيّاك على نعبد لأجل مَعْنَيَيْنِ:

المعنى الأوّل: نعبُدُك، ولا نعبُدُ سواك.

المعنى الثّاني: إيّاك نعني أنتَ يا إلَهَنا المقصود، وليست العبادة.

فمن النّاس من يخطئ ويظنُّ أنَّ المقصود هو العبادة - وهذا خطأ - فالله تعالى هو المقصود، والعبادة فعل ما يُرضي الله في الوقت الذي حدّده لك، فالله أمرك أن تصلّي، فتصلّي في الوقت الذي أمرك وتنتهي عن الصّلاة في الوقت

الذي نهاك عنه كوقت الشروق. الله أمرك أن تصوم، فتصوم في الوقت الذي أمرك كشهر رمضان وتنتهي عن الصّيام في الوقت الذي نهاك عنه كأيّام من العيد كيوم عيد الفطر وأيام عيد الأضحى. الله أمرك ألّا تغشّ فلا تغشّ. الله أمرك أن تلاطف زوجتك فتلاطِفَ زَوجتَكَ. الله تعالى أمرك أن تصل رَحِمَكَ فتصلَ رَحِمَكَ. الله تعالى أمرك أن تتقن عملك، فتتقن عملك، الله تَعالى أمرك أن تتصدَّق، فتتصدَّق...

إذن العبادة هي فعل أمر الله به في الوقت المحدد، فالله تعالى أمرك أن تُعْطي كُلّ ذي حقّ حقّه: فلوالديك عليك حقّ، ولأولادك عليك حقّ، ولزوجك عليك حقّ، ولضيفك عليك حقّ، ولنفسك عليك حقّ، ولربّ العمل عليك حقّ، وكلّ هذا من العبادة، كونك فعلت ذلك امْتِثالًا لأَمْر رَبِّك، والأمرُ تأخذه من اللَّهِ ﷻ وحده. فهل تقصُدُهُ وحدَه بالعبادة أم تقصُدُ ثناء النَّاس عليك؟ أم للمَنْفَعَةِ المادِيَّة؟

بل القَصْدُ هو اللَّهُ تعالى، **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.**

فأنا كزوج أُحسن مُعاملة زَوْجَتي وإن لَم تحسن هي مُعامَلَتي والعَكس صَحيح، ذلِكَ لأَنَّني أُحْسِن مُعامَلَة زَوْجَتي امْتِثالًا لأَمْر رَبّي طلبًا لرضاه لا بنيّة أن تُحْسِن هِيَ مُعامَلَتي، وأنا كَطَبيب أو مُهَنْدِس أو تاجِر أو مُوَظَّف أتقن عَمَلي، لأَنَّ اللَّه تَعالى أَمَرَني بِذَلِك لا لِأَنّه يَعود عَلَيّ بِمَنْفَعَة مادِيّة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: نعبُدك ولا نعبدُ سواكَ.

ومع قولي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أيّ أعترفُ بِعَجْزي عن عِبَادَةِ ربّي على النَّحو الّذي أمرني به، فأطلبُ العونَ من الله تعالى بقولي: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي أستعينُ بك لا بسواك. كما قال النّبيّ ﷺ: «يا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ، إِذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وإِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[1]. فلا تسألْ إلّا الله، ولا تَطلُبِ العونَ إلّا مِنَ اللَّهِ ﷻ.

وفي علم البلاغة يسمّى هذا التقديم بأسلوب القصر، ومعناه تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة، وطرق القصر كثيرة، منها: تقديم المعمول أو المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

س على ماذا أستعين باللّه تعالى؟

ج أستعين باللّه تعالى على أن أصلّي، وأصوم، وأُزكّي، وأتصدّق، وأستعين باللّه تعالى على ألّا أغشّ ولا أظلم، وعلى الوفاء بالوعد، وبرّ الوالدين، وصلة الرَّحم، ، إذًا أستعين باللّه تعالى على كلّ ما أمرني به ربّي من أمور العبادة.

ومعنى العبادة شامل لكلّ مناحي الحياة، فهي فِعْلُ أَمرَ اللَّهُ تعالى به في هذا الوقت.

الآن عدت من عملك إلى بيتك، في هذا الوقت يأمرك ربّك أن تُلاعِبَ أولادَكَ، فتكون عبادَتُكَ في مُلاعَبَةِ أولادِك.

الآن أتاك فقير يسألك، إذًا عبادتك الآن أن تتصدّق.

الآن سمعت الأذان، إذًا عبادتك في الصَّلاة.

الآن أمرك اللَّه تعالى أن تقرأ وِرْدَك وأذكارك، إذًا عبادتك في الورد والذِّكر.

الآن أمرك اللَّه تعالى أن تصل رحمك، إذًا عبادتك في صلة الرَّحم.

تعريف العبادة: فعل أَمَرَكَ اللَّه تعالى به في الوقتِ المُخصّص لهذه العبادةِ على هدي رسول اللَّه ﷺ.

ومَرجِعُها إليه ومنه، وليس من أهوائي، ولا من نفسي، ولا فيما أراه حسنًا أو أراه قبيحًا، وإنَّما أجعلُ هوايَ موافقًا لما

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن ابن عبّاس، كتاب: صفة القيامة، باب: ٥٩، حديث رقم: ٢٥١٦، وهو حسن صَحيح.
(٢) ذكره إسماعيل الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة برقم ١٠٣.

حَكَمَ اللَّهُ تعالى وأرادَ، لأنّ النّبيّ ﷺ يقول: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يَكونَ هَواهُ تَبَعًا لِما جِئْتُ بِهِ))[٢] أي من عند الله. فإذا حكَمَ تعالى بِحُسنِهِ أحكُمُ أنا بحُسنِه، وإذا حكَمَ بِقُبحِه أحكُمُ بقُبحه. يعني آمنتُ بالله، وبما جاءَ مِن عند الله على مراد الله. كما قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١]. وقال أيضًا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢] فأُقرّ بأنّني عاجز عن تطبيق هذا كلّه، فأسأل الله تعالى وحده أن يعينني عليه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

لا تنسَ أنّ لك دعاءً مستجابًا، عندما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وبخاصّة في الصّلاة، لأنّ الله تعالى يقول لك: ((هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) فأنت هنا من غير تلفُّظ تطلب حاجاتك من الله تعالى بقلبك. وعندما تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تسأل الله تعالى بقلبك: اللّهمَّ أعنّي على إقامة صلاتي كما تحبّ وترضى واقبلها مني، واجعلني من خِيرة أحبّائك وأوليائك، ومن أنفعِ عبادِك لعبادِك، هذه تقولُها بِقلبِكَ من غَير تلفُّظٍ بلسانك. فتسأل الله تعالى أن يُعينك على ما طلبه منك كبر الوالدين أو ترك الغيبة أو غض البصر وهكذا تطلب ذلك بقلبك مستحضرًا أنّ الله تعالى يجيبك((هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) وربّما يستغرق ذلك إلّا لحيظة أو بمجرد ورود خاطِر، ويمكنك عندما تكمل قراءة الفاتحة تتفكّر وتتفاعل معها ثمّ تُكمِل، أي تقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، حتى لا تنقطع قراءتك للفاتحة.

شرح معنى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

دُلّنا، وأَرْشِدْنا، ووفّقنا يا الله إلى الطّريق المستقيم، وثبّتنا عليه حتّى نلقاك، وهو دينُ الإسلام، الذي هو الطّريقُ الواضحُ المُوصِلُ إلى رِضوانِ اللهِ وإلى جنّتِهِ، الذي دَلَّ عليه خَاتمُ رُسلِهِ وأنبيائِه محمّدٍ ﷺ، فلا سبيل إلى سَعادةِ العَبدِ إلّا بالاستقامَةِ عليه.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: هنا أطلب من الله الهداية إلى الصِّراط المستقيم.

س ما هو الصِّراط المستقيم؟

ج فيه عدّة أقوال:

- من قال: هو القرآن الكريم.
- ومنهم من قال: هو نهج النّبيّ ﷺ.
- ومنهم من قال: هو رسول الله ﷺ لأنّ من أسمائه ﷺ، الصِّراط المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[٣] فالله تعالى أمرنا باتّباع الصِّراط المستقيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٤]. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥]. فالنّبيّ هو الواسطةُ لذلك كلّه. فالنّبيّ ﷺ من أسمائه «**أحمد**»، و«**الأمين**»، و«**المصطفى**»، و«**نبيُّ الرّحمة**»، وأيضًا «**الصِّراط المستقيم**».

فصار معنى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وفّقني يا ربّ لاتّباع النّبيّ ﷺ في جميع شؤوني، في حياتي، وفي معتقداتي، وفي أخلاقي وفي أقوالي، وفي أفعالي، وفي أفكاري، اتّباعًا كاملًا تامًّا في جميع الشُّؤون والأمور. كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٦].

(١) سورة النّساء، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٦) سورة النّساء، الآية: ٦٥.

فيتفرّع من: ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ﴾:

- اهدِني يا ربّ لاتّباع النّبيّ ﷺ في أخلاقه الكريمة وسننه العظيمة.

- اهدني يا ربّ لاتّباع النّبيّ ﷺ في عبوديته وتعبّده لِرَبِّ العالمين: في التّوكل على الله، وفي الصِّدق مع الله، وفي حبِّ الله، وفي الاعتماد على الله، وفي حسن الظَّنِّ بالله، وفي الخوف من الله، وفي الرَّجاء بالله.

- اهدِني يا ربّ لاتّباع النّبيّ ﷺ في في حُسْنِ معاملة الأولاد، وفي والتَّلَطُّفِ في معاملة الزَّوجةِ، والإحسان في معاملة الجيرانِ وتحري الكَسْبِ الحلال مع الوَرَع في، وفي البيعِ والشِّراءِ، وفي سائر المعاملات مع الخلق.

- اهدني يا ربّ الصِّراطَ المستقيمَ في صلاتي: ﴿صَلُّوا كَما رَأَيْتُموني أُصَلّي﴾[1]، وفي حجّي: ﴿لِتَأْخُذُوا عَنّي مَناسِكَكُمْ﴾[2]، وفي زكاتي، وفي صيامي، وفي كلِّ شؤون حياتي، اهدني بأن أتّبع هذا الصِّراط المستقيم، صراط نبيّك ﷺ. فكلّما أقرأ في الفاتحة ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ﴾ أستحضر بفكري النّبيّ ﷺ لأنّهُ هو الذي يَهْدي إلى الصراط المستقيم وإنّك لتهدي إلى صراط مُستقيم يعني صراط الذي يملك ما في السّموات وما في الأرض فجعل هداية الصراط عن طريقة هديه صلى الله عليه وسلم..

س أين ذُكر النّبيّ ﷺ في سورة الفاتحة؟

ج ذكر النّبيّ ﷺ في الفاتحة في: ﴿الصِّراطَ المُسْتَقيمَ﴾. لذا أستحضر النّبيّ ﷺ، وكأنّني أصلّي خلفه، فأركع بركوعه، وأسجد بسجوده، وأقوم بقيامه، وأتصرّف كما يتصرّف.

شرح معنى: ﴿صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالّينَ﴾

طريق الذين أنعمت عليهم من النّبيّين، والصِّدّيقين، والشُّهداء، والصّالحين، فهم أهْلُ الهدايةِ والاستقامةِ ﴿غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالّينَ﴾ أي:، ولا تَجْعَلْنا ممّن سَلَكَ طَريقَ **المَغضوبِ عَليهِم** وهُمُ الذين عَرفوا الحقَّ ولم يَعمَلوا بِهِ بل غيّروه وبدّلوه وحرّفوه، كاليَهودِ ومن كان على شاكِلتِهم ممَّن قتل الأنبياء والصّالحين وحاربهم.

ولا تجعلنا ربّنا ممّن سلك طريق **الضّالّين**، وهم الّذين رضوا أن يتلاعب الآخرون بدينهم ومُعتقداتهم وقيَمهم ومبادئهم وأخلاقهم، ولم يُدافعوا عنها أو يتمسّكوا بها، بل حرّفوا وغيّروا وبدّلوا.

وفي هذا الدُّعاء شفاء لقلب المسلم مِن مَرَضِ الجحودِ، والجَهْلِ، والضَّلالِ، ودَلالةٌ على أنّ أعظَمَ نِعمةٍ على الإطلاق، هي نعمةُ الإسلام، فمن كان أعرَفَ لِلحَقِّ وأتْبَعَ لهُ، كان أولى بالصِّراط المستقيم، ولا رَيبَ أنّ أصحابَ رسولِ اللّه ﷺ هم أولى النّاس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام، فدلّت الآية على فَضلِهم، وعظيمِ مَنزِلتِهم رضي الله عنهم.

﴿صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو مَنْهَجُ الحياة، وأيُّ حياة: هي الحياةُ الطيّبةُ المُصاحبةُ لِرِضى اللّهُ ورسولِهِ ﷺ.

س من هم الّذين أنعم اللّه عليهم؟

ج هم النّبيّون والصِّدّيقون والشُّهداء والصّالحون.

نستحضر أُناسًا أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم، كسيّدِنا إبراهيم، وسيّدِنا موسَى، وسيّدِنا هارونَ، وسيّدِنا يوسُفَ، وسيّدِنا عيسى عليهم السلام، والسيّدةِ آسيةَ والسيّدةِ مريمَ عليها السلام، والصَّحابَةِ الكرام: كسيّدِنا أبي بكر، وسيّدِنا عُمَرَ، وسيّدِنا عليٍّ، وسيّدِنا عليّ، وسيّدِنا أُسامَةَ، وسيّدِنا أبي عُبيدَةَ، وسيّدِنا زَيدٍ، وسيّدِنا حَمزةَ، وسيّدِنا العبّاس، وسيّدِنا عبدِ اللّه بْنِ عبّاس،

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أَبي سُلَيْمانَ مالِك بْن الحوَيْرِث، كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصّدوق، حديث رقم: ٧٢٤٦.

(٢) رواه أبو نعيم في مسنده، عن جابر بن عبد اللّه، كتاب: الحجّ، باب: في رمي الجمار، حديث رقم: ٢٩٩٥، وإسناده صحيح.

وسيّدِنا عَبدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، والسَيّدةِ خَديجةَ، والسيّدةِ فاطِمَةَ، والسيّدةِ عائشَةَ، والسِّبطين السَّعيدَيْن سيدينا الحَسَن والحُسين ﷺ، وغيرهم كثير من الأنبياء والأولياء والشُّهداء والصّالحين في كلّ زمن وحين.

أستحضِرُ بعض هؤلاء الّذين أنعم اللّه عليهم، واقفين خَلْفَ النّبيّ ﷺ يُصَلُّونَ في كلّ مرَّة أقرأ فيها الفاتحة، أستَحْضِرُهم واقفين بِجانبي خَلف النّبيّ الأكرم ﷺ عندما أقول: صراط الذين أنعمت عليهم، فالمحافظةُ على إقامةِ الصلاة إشارةٌ إلى الاتّبَاعِ، فإمامُك أمامُك تتّبِعُهُ، وهو رسول اللّه ﷺ، فجميع الذين أنعم اللّه عليهم يتّبعون النّبيّ ﷺ. وكما صلّى جَميعُ الأنبياءِ خَلفَ النّبيّ ﷺ في رِحلةِ الإسْراءِ والمِعراجِ، كذلك صلّى إمامًا بالصَّحابَةِ الكرام؛ والأوْلياءُ والعلماءُ مِنْ بَعدِه اقتَدَوا به، وإن فاتهم أن يصلّوا وراءه في حياته، فإنّهم صلّوا كما كان يُصَلّي، وهم ورثته وأهل طاعته، وهم الّذين قال اللّه تعالى بحقّهم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفيقًا﴾[1]

وأنا في كلّ مرَّة أقرأ الفاتحة أستحضر أنّي أُصلّي خلف النّبيّ ﷺ، وعن يميني وعن شمالي أحد الّذين أنعم اللّه عليهم. تارة أستحضر عن يميني سيّدنا أبا بكر الصّدّيق، وأخرى أستحضر عن شمالي سيّدنا علي بن أبي طالب، وأنا بينهما. لماذا أستحضر أنّني بينهما؟ وكأنّك تقول: يا ربّ اجعلني مع الّذين أنعمت عليهم، فإنّي أحبُّ أن أكون مع النّبيّين والصّحابة الكرام ﷺ، مثل سيّدنا أبي بكر وسيّدنا عمر وسيّدنا عثمان وسيّدنا عليّ ﷺ ومثل سيّدنا الحسن وسيّدنا الحسين ﷺ. فأنا أحبّهم وأحبّ وأحرص على أن أصلّي كما صلّوا وأحسّن خُلقي كما حسّنوا أخلاقهم، وأن أحشر معهم، وأن أُحسَبَ عليهم. وهذا ما أطلبه من اللّه تعالى في ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ* صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فيجب علينا أن نبحث ونتعرّف الطريقة إلى الصِّراطِ المستقيم، صراطِ الّذين أنعم اللّه عليهم من خلال آيات القُرآنِ الكريم، وذلك أنّ القرآنَ مليءٌ بتعريفِ المُسْلم على الصِّراطِ المستقيمِ، حتّى لا يكونَ للنّاس على اللّه حُجّةٌ، فهو طريق واضِحٌ وبَيّنٌ لا عِوَجَ فيه ولا حيرةَ.

س ما هو صراط الّذين أنعم اللّه عليهم؟

ج بعض آيات القرآن الكريم تشرح أمثلة من صراط الّذين أنعم اللّه عليهم، بفعل الطّاعة وترك المعصية:

١. ففي قول اللّه تعالى: ﴿اعْدِلُوا﴾[2] تعاملوا بالعَدْلِ مع كلّ إنسان صديقًا كان أو عدوًّا.
٢. وقوله تعالى: ﴿ولا تعتَدوا﴾[3] لا تعتدوا مطلقًا، وإن كانت الحرب مع الأعداء وقاتلتموهم في سبيل اللّه، لا تقاتلوا من لا يقاتلكم من النّساء والصّبيان والشّيوخ، ولا تحرقوا شيئًا، ولا تقطعُوا شجرًا، ولا تقتلوا حيوانًا لِغيرِ مَصلَحةٍ، ولا تهدِموا الصوامِع والبِيَع والكنائس وأمكِنَة العِبادة.
٣. وقوله تعالى: ﴿ولا تَعْثَوا في الأَرْضِ مُفسِدين﴾[4] كونوا دَوْمًا مُصلِحين، ولا تُفْسِدوا في الأرض بإفساد الأخلاق والقيم، أو بإفساد الطَّبيعة أو المناخ.
٤. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالباطِلِ﴾[5] لا تخلطوا الحقّ بالباطل والصِّدقَ بالكَذِبِ.

(١) سورة النّساء، الآية: ٦٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[١] لا تَقُلْ رأيتُ وأنت لَمْ تَرَ، وسَمِعتُ ولم تَسمَعْ، وعلِمتُ ولَمْ تعلَمْ، فإنّ اللَّه تعالى سائلُكَ عن ذلك كُلِّه.

٦. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[٢] لا تتكبّر فَتَحْتقِرَ عبادَ اللَّه، وتُعرِضَ عَنهُم بِوجهِكَ إذا كَلَّموكَ.

٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٣] أي مِشيَة خُيَلاء وتكبّر وصَلَف..

٨. وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقول اللَّه تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] أَلِنْ لهم جانبك وتواضع أمامهم.

٩. وقوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[٦] أي لا تُبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه.

١٠. وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[٧] إنَّ اللَّه أمرك أن تَعفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وتُعطِيَ من حَرمَكَ، وتَصِلَ مَن قطعك، والعرفُ المعروف.

١١. وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٨] أعرض عن المسيء، فمُرْه بالمعروف بالحكمة والموعظة الحسنة، فإذا تمادى في ضلاله واستعصى عليك واستمرّ في جهله فأعرض عنه، فالمسلم من سَلِمَ النّاس من لِسانِهِ ويَدِهِ.

١٢. وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٩] أي من أساء إليك فادْفَعْهُ عنك بالإحسانِ إليه.

١٣. وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾[١٠] ذَكِّرِ الخَلقَ بنعم اللَّه تعالى وفضله على العباد، وبأسماء اللَّه الحسنى وصفاته العُلى؛ كـ: الرَّؤوف، الرّحيم، الكريم، الحليم، القويّ، والمتين.

١٤. وقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾[١١] الصّدقة تَبطُلُ عندما يتبعُها المَنُّ والأذَى، قال رسول اللَّه ﷺ: ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))[١٢].

١٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[١٣] هذا في الرّجل يكون عليه دَين، وليس عند صاحب الدَّين بيّنةٌ فينكر ويجْحَدُ المالَ فلا تكن مثله.

١٦. وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَومٍ﴾[١٤] باحتقارهم واستصغارهم والاستهزاء بهم.

١٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[١٥] أي لا تلمزوا النّاس، والهمّازُ اللمّازُ الذي يغتاب النّاس ويذكر عيوبهم مذمومٌ ملعون، ولا تدَاعَوا بالألقاب التي يستاءُ الشّخصُ لِسماعِها.

١٨. وقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾[١٦] لا تظنّ بكَلِمة قالها أخوك المؤمن إلّا خيرًا، ما دُمْتَ تَجِدُ لها في الخير محملًا، أيّ حَسِّنِ الظنّ بهِ، والتمسْ له سبعين عُذرًا.

١٩. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[١٧] أي: على بعضكم البعض، فما أخفاه عنك غيرك أمر لا يعنيك.

٢٠. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[١٨] فيه نهي عن الغيبة، وهو ذِكرُكَ أخاك بِما يكره وإن كان فيه ما تقول، والغيبةُ مُحَرَّمةٌ بالإجماع.

٢١. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[١٩] بأن يأخذوا بجميع عُرَى الإسلام وشَرائِعِهِ، والاعتقاد

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦. (٢) سورة لقمان، الآية: ١٨. (٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٧. (٤) سورة الحجر، الآية: ٨٨.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥. (٦) سورة لقمان، الآية: ١٩. (٧) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩. (٨) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٩) سورة فصلت، الآية: ٣٤. (١٠) سورة النّحل، الآية: ١٢٥. (١١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(١٢) رواه أحمد في مسنده، عن أبي ذرّ، مسند: الأنصار، مسند: أبي ذرّ الغفاريّ ﷺ، حديث رقم: ٢١٤٨١، وإسناده صحيح.

(١٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٨. (١٤) سورة الحجرات، الآية: ١١. (١٥) سورة الحجرات، الآية:١١. (١٦) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(١٧) سورة الحجرات، الآية: ١٢. (١٨) سورة الحجرات، الآية: ١٢. (١٩) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

بجميعِ عقائده، وتشريعاته وأخلاقه.

٢٢. وقوله تعالى: ﴿وَإِذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحسَنَ مِنها أَو رُدُّوها﴾[١] أي إذا سَلَّمَ عَليكُم أحد فَرُدُّوا عليهِ بطريقة أفضَلَ ممّا سلّم، أو ردّوا التّحيّة كما حيّاكم.

٢٣. وقوله تعالى: ﴿وَبِالوَالِدَينِ إِحسَانًا﴾[٢] فإنّ اللّه سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العدم إلى الوجود، والفوز بسعادة الأبد في جنّات الخلد.

٢٤. وقوله تعالى: ﴿وَبِذِي القُربَىٰ وَاليَتَامَىٰ﴾[٣] الإحسانُ إلى القَراباتِ من الرّجال والنّساءِ واليَتامَى، لأنّهم فقدوا مَن يقومُ بمصالحهم، ومَن يُنفِقُ عَليهم.

٢٥. وقوله تعالى: ﴿وَأَطعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ﴾[٤] المضطرّ، الذي يظهر عليه البؤس، وهو الفقير المتعفّف الذي لا يمدُّ يَدَهُ ولا يطلب من النّاس شيئًا.

٢٦. وقوله تعالى: ﴿وَآتُوا اليَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾[٥] يأمر تعالى بِدَفع أموالِ اليتامى إليهم إذا بلغُوا سنّ الرُّشد.

٢٧. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾[٦]. أي لا تتركوا الحلال لتجنحوا إلى الحرام.

٢٨. وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٧]. أي من أيّ شيء، أو من كلّ شيء رزقكم اللّه.

٢٩. وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٨] أي مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

٣٠. وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٩] أي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويصفح.

٣١. وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[١٠] المعاونة على فعل الخيرات وهو البرّ، وترك المنكرات وهو التّقوى.

٣٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١١] ينهاهم عن التّناصر على الباطل، والتّعاون على المآثم والمحرّمات.

٣٣. وقوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[١٢] أي حلف اليمين، فلا تكثروا من الحلف، وإذا حلفتم فاحفظوا أيْمانكم وطبّقوها.

٣٤. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[١٣] الوفاءُ بالعهودِ والمواثيقِ والمحافظةُ على الأيْمانِ المؤكّدة.

٣٥. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾[١٤] أي من غير تطفيف بالميزان.

٣٦. وقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[١٥] وهو الميزان العدل الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب.

٣٧. وقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١٦] إن أردت أن تكون مع الصّادقين فعليك بالزّهد في الدّنيا، والكفّ عن أهل الملّة.

٣٨. وقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[١٧] يعني ما تعاقدتم عليه، وكذلك العهود، يعني ما أحلّ اللّه وما حرّم، وما فرض، وما حدّ في القرآن كلّه.

٣٩. وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[١٨] أي كونوا متعاونين متناصرين في تطبيق العدل، واشهدوا شهادةَ الحَقّ ولو عادَ ذلك عليكم بالضرر، فاللّهُ سيجعلُ لِمَن أطاعَهُ فَرجًا ومَخرَجًا من كلّ أمرٍ يضيقُ عليه.

٤٠. وأخيرًا اتباع نهج الخلفاء الراشدين الهادين المهديين.

كلّ أمر أو نهي من الأربعين، لك فيه مثالٌ في فعل طاعة أو ترك معصية في حياةِ أحدِ الأنبياء، أو الصّحابةِ، أو التّابِعِينَ، أو أحدِ الأولياءِ الّذين عاصرتَهُم. تستحضر دائمًا موقفًا من حياة الذين أنعمَ اللّه عليهم وأنت واقف بينهم، وتقول: أريد

---

(١) سورة النّساء، الآية: ٨٦.
(٢) سورة النّساء، الآية: ٣٦.
(٣) سورة النّساء، الآية: ٣٦.
(٤) سورة الحجّ، الآية: ٢٨.
(٥) سورة النّساء، الآية: ٢.
(٦) سورة النّساء، الآية: ٢.
(٧) سورة المنافقون، الآية: ١٠.
(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.
(٩) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(١٠) سورة المائدة، الآية: ٢.
(١١) سورة المائدة، الآية: ٢.
(١٢) سورة المائدة، الآية: ٨٩.
(١٣) سورة النّحل، الآية: ٩١.
(١٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.
(١٥) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.
(١٦) سورة التّوبة، الآية: ١١٩.
(١٧) سورة المائدة، الآية: ١.
(١٨) سورة النّساء، الآية: ١٣٥.

أن أكون هكذا في كلِّ صلاة، وأريد أن أتّبع هذا المنهج، ولا أريد أن أتّبع منهج المغضوب عليهم، ولا منهج الضّالّين.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[1]

شرح معنى: ﴿غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾

أي غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضّالّين. إذًا الكلام على صراط المغضوب عليهم وصراط الضّالّين. وليس على المغضوب عليهم والضّالّين، كأشخاص أو جماعات. فلنبيّن هذا الصِّراط ونوضّح مسالكه، كي نتجنّبه. فلا نَسلُكُ هذا الطريقَ ولنكن مِنهُ على حَذرٍ شَديدٍ، فلا نُعَرِّضُ أنفُسَنَا لِغَضَبِ اللَّهِ عَلينا.

س من هم ﴿المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ﴾؟

ج هم الّذين جاءهُمُ الحقُّ فعرفوه ثمّ أعرضوا عنه، وبدّلوه وحرّفوه، ثمّ لُوّثت عقولهم.

هؤلاء هُمُ المَغضوبُ عليهم، يَعرِفونَ الحقَّ، ولكِنْ وجدوا أنّ هذا الحقَّ لا يَتوافَقُ مع أهوائِهم، ولا مع كِبرِهم، ولا مع نفوسِهم، فأعْرَضُوا عَنه وحرّفوه وبدّلوه، كاليهود، وبالخصُوص اليهودُ في زمن النّبيّ ﷺ الّذين كانوا يعلمون يقينًا أنّه رسولُ اللّه ﷺ، ولكنّهم لم يُؤمِنُوا به، بل حاربوه وتآمروا عليه وحاولوا أن يصدّوا النّاس عنه ويقتلوه، وكَكُفّار مكّةَ، الّذين كانوا يعلمون أنّه رسولُ اللّه ﷺ، ولكنَّ خَوفهم أن تذهبَ تجارتُهم إذا آمنوا به، أو خَشْيتَهُم أن ينقطع عنهمُ ما يَدفَعُ النَّاسُ الّذين كانوا يزورون الكعبَةَ لِأجلِ الأصنامِ ويُنفقونَ الأموال الطّائلة عندها، من الإيمان به.

هؤلاء مِنَ المَغضُوبِ عليهم لأنّهم عرفوا الحقَّ فأعرضوا عنه.

س من هم ﴿الضّالّينَ﴾؟

ج هم الذين مُكِر بهم ولُوّثت عقولهم وضُلِّلوا فضَلّوا وفسدوا مع علمهم بأنّه الحقُّ، فوصِفوا بالضّلال.

أمّا اليهود فهم أشدُّ في الكفر والعناد، وأعظم في الخبثِ والفساد، وهم أسوأ حالًا ممّن تلاعبوا بدينهم. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ قالُوا إِنَّا نَصارىٰ ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسّيسينَ وَرُهْبانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

- **هؤلاء لهم صراط، ولهم منهج، وهو:** أنّهم آثروا الدُّنيا على الآخرة، وأنّهم تركوا الحقَّ وتركوا منهج اللّه، لأجل أهوائهم وأنفسهم ودنياهم.
- **هؤلاء لهم طريقة حياة في هذه الدُّنيا:** طريقةُ حياتِهم تختلف كُلّيًا عن طريقة الّذين قالَ اللّهُ تعالى بحقّهم: ﴿صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فهم لأجل مصالحهم يكذبون، ولأجل مصالحهم يُخْلِفونَ بالوعد، ولِأجلِ مَصالِحِهم يَقْطَعُونَ الرَّحِمَ؛ ولأجل مصالحهم يقتلون، ولأجل مصالحهم يظلمون، وهم الّذين اشتَهروا بنقضِ العَهدِ والمِيثاق، فهم يُقَدِّمون أنفُسَهُم ودنياهم على ربّهم.
- **هؤلاء محرُومونَ مِن:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾، ولا يُكرَمون بـ: ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ﴾، وهؤلاء هم المغضوبُ عليهم وهم الضّالّون.

القرآنُ الكريم يعطينا نماذج عن الّذين أنعم اللّه عليهم: فهو يقصّ لنا قِصّةَ سيّدِنا آدمَ، وقصّةَ سيّدِنا إبراهيمَ، وقصّةَ

(١) سورة الفاتحة، الآيات: ٤- ٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

سيّدِنا موسَى، وقصَّةَ سيّدِنا يوسُفَ، وقصَّةَ سيّدِنا يونُسَ، وقِصَّةَ سيّدنا هُودٍ، وقصّة سيّدنا زكريا، وقِصَّةَ السَّيّدةِ مَريمَ، وقِصَّةَ السَّيّدةِ آسِيةَ امرأةِ فِرعَونَ عليهم السلام.

إنّ سورة الفاتحة ملخَّص عن القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم سيتكلَّم عن: أسماء الله تعالى، وسورة الفاتحة ذُكِر فيها خمسة أسماء من أسماء الله تعالى: **الله، الرّحمن، الرّحيم، الرّبُّ، المالك.**

القرآن الكريم سيذكر باقي الأسماء، كما سيذكر باقي الصّفات.

القرآن الكريم سيتكلَّم عن يوم الدِّين بالتَّفصيل، وسيتكلَّم عن النِّعم وعن البلاء، وسيتكلَّم عن النّبيّ ﷺ وعن صراطه المستقيم، وسيتكلَّم عن الأنبياء والصالحين وكيف اتَّبعوا الصِّراط المستقيم، وسيتكلَّم عن المغضوب عليهم وهم من جاءهم الحقُّ فأعرضوا عنه، وسيتكلَّم عن الّذين ضلُّوا ورضوا أن يُحرَّف بدينهم، وقصّروا في البحث عن الحقيقة.

ثمّ إنَّ سورة الفاتحة دعاء، وأيَّما دعاءٍ وهِيَ طريقةٌ وسبيلٌ ودعوة الحقّ وتتمثل في: أن نتّبع منهج حياة الصالحين ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ* صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ونترك منهج حياة المغضوب عليهم والضّالّين ﴿غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، أي غَيرِ مَنْهَجِ حياة الَّذينَ يُؤْثِرونَ الحياةَ الدُّنيا على الآخرة، وليس لديهم قِيَمٌ، ولا مَبادئُ، وقد حذَّرنا النّبيُّ من اتّباع منهجهم وعلّمنا أن نقول بعد قراءة سورة الفاتحة **آمين**، و**آمين** ليست من القرآن، وليست من سورة الفاتحة، ولكنّها دُعاء، بمعنى: اللَّهُمَّ استجِب.

عجائب سورة الفاتحة

وهذا بَيانٌ لبعض العَجائِبِ العظيمةِ التي طواها ربُنا في ثنايا هذه السّورة - سورة الفاتحة- وهي التي تُسمّى السَّبع المثاني، فمن عجائبها أنّها:

١. السُّورة الشَّافية بمشيئة الله عزّ وجلّ، لذلك كان الصَّحابة رضي الله عنهم يقرؤونها في بعض شؤونهم يجعلون قراءتها كرقية شرعيَّة.

٢. تُقرأ لقضاء الحوائج بإذن الله عزّ وجلّ.

٣. سَبَبٌ في غُفْرَانِ الذُّنوب، قال النّبيّ: «**إذا قال الإمامُ: ﴿غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّالِّين﴾ فقولوا آمينَ، فَمَن وافق قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَة غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

٤. لا تصحُّ الصلاة إلَّا بقراءتها في كلّ ركعة عند الشافعية وتعدُّ الصلاة ناقصة بدونها إذا لم تُقْرَأْ عند الجمهور.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿غير المَغضُوبِ عَليهِم ولَا الضَّالّين﴾، حديث رقم: ٤٤٧٥.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. افتتح اللّهُ تعالى كتابةُ البسملة ليرشد عباده أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم بها طلبًا لعونه وتوفيقه، و اشتملت هذه السّورة الكريمة - وهي سبع آيات - على حمد الله وتمجيده، والثّناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، فالله

٢. تعالى يحبّ الحمد، لذا حمد تعالى نفسه، وأمر عباده بحمده.

ذكر المعاد وإرشاد عبيده إلى سؤاله والتّضرّع إليه، والتّبرّؤ من حولهم وقوّتهم، وإلى إخلاص العبادة له، وتوحيده بالألوهيّة تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو ماثل، وحثّهم على سؤالهم إيّاه الهداية إلى الصّراط المستقيم، وهو الدّين القويم، وتثبيتهم عليه حتّى يُفضي ذلك إلى جواز الصّراط الحسيّ يوم القيامة، المفضي بهم إلى

٣. جنّات النّعيم في جوار النّبيّين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين.

إنّ المدح يكون لمقتضى، وإلّا فهو باطل وزور. فالله تعالى لمّا حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد، وهو كونه **ربّ العالمين**

٤. **والرّحمن الرّحيم ومالك يوم الدّين.**

٥. **الرّحمن:** اسم جامع لجميع الصّفات التي تحتاجها أيّها الإنسان، ويحتاجها جميع المخلوقات.

الرّحمة: هي قضاء الحاجة، والله تعالى خلق الخلق محتاجين. أمّا الانسان فهو أكثر المخلوقات فقرًا واحتياجًا لكلّ شيء. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[1] إليه والرّحمن هو الذي يقضي حوائج المكلّف من إنس وجنّ،

٦. سواءٌ كان مؤمنًا أم كافرًا، وكذلك حوائج جميع المخلوقات.

اشتملت سورة الفاتحة على التّرغيب في الأعمال الصّالحة ليكون الذين يقرؤونها ويتعبدون الله بها مع أهلها يوم القيامة، حيث أنّها تُحَذِّرهُمْ من مسالك أهل الباطل؛ لئلّا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضّالّون.

التّعلّق باسم اللّه الرّحمن:

✓ وفيها بأن ترى جميع النِّعم الظّاهرة والباطنة منه، فتعيش حياتك ما بين الجلال والجمال، فترى أنّ البلاء أيضًا من الله، فتحمد الله عليه وتفكّر دائمًا في أنّ البلاء الذي يصيبك هو عين العطاء وهو خيرٌ ونعمة، وأنّ الله ﷻ لو كشف عنك الغطاء لاخترت هذا البلاء كونه أهون عليك من غيره.

✓ استمطار الرّحمة منه تعالى بأسبابها، كالتّوبة والإنابة فيُلهمك النّدم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

✓ استمطار الرّحمة بجليل النّعم، فنستعين بالرّحمن الرّحيم لكلّ حاجة دينيّة أو دنيويّة، فيديم علينا الصّحة والعافية، الأمن والإيمان والطّمأنينة، ويرزقنا أولادًا صالحين، وحسن الختام، ونكون من سعداء الدّارين، لذا كلّ أمر نبدؤه ببسم الله الرّحمن الرّحيم.

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

- ✓ استمطار الرّحمة للأمّة الإسلاميّة جمعاء وللعالم أجمع، فيدعو كُلُّ واحِدٍ مِنّا كُلَّ واحِدٍ مِنّا أن يغفر الله تعالى للمسلمين والمسلمات، ويرحمهم ويقضي حوائجهم، ويشفي مرضاهم، ويُطعم جياعهم.
- ✓ النّظر إلى اتّساع الرّحمة ومظاهرها في الموجودات، وبذلك يقوى الرّجاء ويتحقّق الإيمان. فترى كيف أنَّ التراحُم يسودُ في كلِّ شَيْءٍ.
- ✓ الاستعاذة بالرّحمن من الشّيطان؛ لصرف مداخل الشّيطان على العبد، ﴿وَمَن يَعْشُ (يغفل) عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[1].

في الأمر والنّهي

- **كيفيّة حمد الله:** في سورة الفاتحة: وهي الدّعاء العاقد للصّلة مع الله، الذي علّمنا إيّاه ﷻ، يقرؤوه المؤمن في كلّ المناسبات، في الصّلاة وغيرها، لأنّ بدايته على تأويل أو تقديرٍ محذوف فالمقصود، أي قولوا: **الحمد لله ربّ العالمين**، وذلك يقضي أنّ الله أمرنا بفعل الحمد، وعلّمنا كيف نحمده وكيف نثني عليه، وكيف ندعوه، ويُفهم منه أنّ من آداب الدّعاء: أن يبدأ بحمد الله والثّناء عليه، ليكون ذلك أدعى إلى الإجابة.
- **استحضار معاني الفاتحة:** على المصلّي أن يستحضر في صلاته كلّ معاني الفاتحة، من كون الله أعظم من كلّ عظيم، وأكبر من كلّ شيء، وأنّ كلّ ثناء جميل هو لله تعالى استحقاقًا وفعلًا، من حيث أنّه الربّ خالق العالمين ومدبّر جميع أمورهم، وأنّ رحمة الله مقرونة بعظمته وملكه وسلطانه وتصرّفه دون غيره يوم الحساب، فهو المستحقّ للعبادة وحده، ومنه وحده تطلب المعونة على العبادة وعلى جميع الشّؤون، وهو سبحانه الدّال بتوفيقه ومعونته إلى طريق الخير والحقّ في العلم والعمل، وللمؤمن في مناجاته قدوة حسنة، ومن الذين أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصّالح، من النّبيّين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين، كما أنّ أمامه عِبْرَةٌ وعِظَةٌ مع التحذير من الذين غضب الله عليهم بإيثارهم الباطل على الحقّ، وترجيحهم الشرّ على الخير، والضّالّين عن طريق الحقّ والخير بجهلهم، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا، فمصيرهم إلى جهنّم.
- **تأمين المصلّي:** يؤمّن المنفرد اتّفاقًا، وأمّا الإمام فيؤمّن سرًّا عند أبي حنيفة وفي الرّاجح عند المالكيّة، لأنّه دعاء، وجهرًا عند غيرهما.
- **التّرغيب في دعاء الله والتّضرّع إليه،** كما في الحديث من النّبيّ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»[2].
- **الاعتراف بالنّعمة.**
- **طلب حسن القدوة.**
- **التّرغيب في سلوك سبيل الصّالحين، والتّرهيب من سلوك سبيل الغاوين.**

الأحكام الشّرعيّة هل البسملة آية من القرآن؟

أجمع العلماء على أنّ البسملة الواردة في سورة النّمل هي جزء من آية، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ

(١) سورة الزُّخرف، الآية: ٣٦.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن النعمان بن بشير، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، حديث رقم: ١٨٠٢، وإسناده صحيح.

(٣)سورة النمل، الآية: ٣٠

اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٣] ولكنّهم اختلفوا، هل هي آية من الفاتحة؟ ومن أوّل كلّ سورة أم لا؟ وهم على أقوال ثلاثة:

القول الأوّل: البسملة آية من الفاتحة، ومن كلّ سورة، وهو مذهب الشّافعي ﷺ.

القول الثّاني: ليست آية من الفاتحة، ولا من شيء من سور القرآن، وهو مذهب مالك ﷺ.

القول الثّالث: هي آية تامّة من القرآن، أنزلت للفصل بين السّور،وليست آية من الفاتحة،وهو مذهب أبي حنيفة ﷺ.

في الأخلاق والآداب

التّخلّق باسم اللّه الرّحمن بأن:

- ✓ يصبح همّك الأمّة، فيكون نفعك متعدّيًا تسعى بالخير للجميع، فتنظر إلى كافّة الخلق بعين الرّحمة، فتقضي حوائج العِبادِ، وَتُحسِنُ إليهم، سواء أحبّوك أم لم يُحِبّوك، شكروكَ أم شكروا غيرَك، وتُطعم الطّعام، وتُساعد على نوائب الدّهر المسلم وغير المسلم، فاللّهُ تعالى يرزقُ المؤمنينَ والكفّار على حدٍّ سواء، ويُعطيهم في الدّنيا مِن واسِعِ فضلِهِ مهما كان لونُ بشرتِهم ودينِهم ومُعتقَدِهم، وسَواء أكانوا أشرارًا أم أخيارًا. ﴿خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ﴾[١].
- ✓ ترحم عباد اللّه الغافلين، وتسعى في نشر الهداية والدّين والطّمأنينة والسّكينة، والسّلام بين النّاس أجمعين، فإذا رأيت عاصيًا دعوت اللّه لهُ من قلبك أن يغفر له وأن يتوب عليه، وإذا رأيت مُبتلىً بكبيرة أشفقت عليه، وسألت اللّه تعالى له الهداية، وأن يُطهّر اللّه تعالى قلبه من هذا البلاء. ﴿شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي﴾[٢].
- ✓ تصل الرّحم وتحسن الجوار، فتَصِلُ مَن قَطَعَكَ، وتعفو عَمَّن ظَلَمَكَ، وتُحسنُ إلى مَن أساءَ إليك.
- ✓ تتقن تربية الأولاد بشدّة ولين، بذلّ وعزّ كما ربّانا القرآن الكريم بمنعٍ مع حبٍّ وعطاء.
- ✓ تستقيم: والاستقامة هي سلوك الصّراط المستقيم، وهو "صراط" أي نهج حياة النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، والمؤمن مطالب بالاستقامة الدّائمة، لذلك يسألها ربّه في كلّ ركعة من صلاته ﴿اهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣]، وعندما يقصّر في فعل المأمور واجتناب المحظور ويحيد عن الاستقامة، يستغفر ربّه ويعود ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[٤].
- ✓ تتبرّأ من العُجب: لأنَّ العُجُبَ يؤدّي إلى الكِبر. فعندما يُعجَب المرء بنفسه وبعمله وبماله، يرى نفسه كاملًا، خاليًا من العيوب. ويرى نفسه بعين الاستعظام، وَيُحْقِرَ مَنْ هُم دونَه، فإيّاك أن تُعِبْ على غيرك إذا لم يكن عنده ما عندك، فيصيبك قوله: ﴿لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ﴾[٥]. والمُعجَب بنفسه لا يحقّق قوله تعالى: ﴿وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٦] لأنّه يعتمد على نفسه ويستعين بها، ويظُنُ أنّه لا يحتاجُ إلى اللّه بشيء. ويرى أنَّ كلّ ما عنده كمال ورفعة، لا عطيّة أو نعمة من اللّه. فيفرح بذلك زاعمًا بأنّ هذا الخير من صفته ومنسوب إليه، وليس عطاء مِن اللّه تعالى. فحذارِ حذارِ مِن العُجُب، لأنَّ هذا العُجُب شِركُ "الأنا" مع اللّه تعالى.

في السّيرة والشّمائل

(١) رواه الشهاب القضاعيّ في مسنده، عن جابر، مسند: خير الناس أنفعهم للناس، حديث رقم: ١٢٣٤، وهو حسن.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن جابر، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الأنبياء، حديث رقم: ٣٤٤٢، وهو صحيح.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.
(٤) سورة فُصِّلت، الآية: ٦.
(٥) رواه التّرمذيّ في سننه، عن واثلة بن الأسقع، كتاب: أبواب صفة القيامة والرّقائق والورع، باب: ٥٤، حديث رقم: ٢٥٠٦، وهو حسن.
(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

الإشارة: عَلِمَ الحقّ سبحانه وتعالى شدّة إرادة أوليائه بحمده وثنائه، وعجزَهم عن القيام بحقّ مدحه على مقتضى عزّه وسنائه، فأخبرهم أنّه حَمِد نفسه بما افتتح به خطابه، بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فانتعشوا بعد الذِّلة، وعاشوا بعد الخمود، واستقلّت أسرارهم لكمال التّعزّز حيث سمعوا ثناء الحقّ عن الحقّ بخطاب الحقّ، فنطقوا ببيان الرّمز على قضيّة الأشكال.

الإشارة: على طريقة من فرَّق بينهما، فالرّحمن خاصّ الاسم عامّ المعنى، والرّحيم عامّ الاسم خاصّ المعنى؛ فلأنّه الرّحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم، ولأنّه الرّحيم وفّق المؤمنين لما فيه حياة سرائرهم، فالرّحمن بما روَّح، والرّحيم بما لوَّح؛ فالتّرويح بالمَبَارِ، والتّلويح بالأنوار: والرّحمن بكشف تَجَلّيه، والرّحيم بلطف تولّيه، والرّحمن بما أولى من الإيمان، والرّحيم بما أسدى من العرفان، والرّحمن بما أعطى من العرفان، والرّحيم بما تولّى من الغفران، بل الرّحمن بما ينعم به من الغفران والرّحيم بما يَمُنُّ به من الرّضوان، بل الرّحمن بما يكتم به والرّحيم بما ينعم به من الرّؤية والعيان، بل الرّحمن بما يوفّق، والرّحيم بما يُحَقِق، والتّوفيق للمعاملات، والتّحقيق للمواصلات، فالمعاملات للقاصدين، والمواصلات للواجدين، والرّحمن بما يصنع لهم، والرّحيم بما يدفع عنهم، فالصّنع بجميل الرّعاية، والدّفع بحسن العناية.

الإشارة: مَلَكَ قلوبَ العابدين إحسانُه، فطمعوا في عطائه، وملك قلوب الموحّدين سلطانُه، فقنعوا ببقائه، عرَّف أربابَ التّوحيد أنّه مالكهم فسقط عنهم اختيارهم، علموا أنّ العبد لا ملك له، ومن لا ملك له لا حكم له، ومن لا حكم له لا اختيار له، فلا لهم عن طاعته إعراض ولا على حكمه اعتراض، ولا في اختياره معارضة، ولا لمخالفته تعرض.

الإشارة: اقطعْ أسرارنا عن شهود الأغيار، ولوِّح في قلوبنا طوالع الأنوار، وأفْرِدْ مَقْصودَنا إليك عن دَنَس الآثار، ورقِّنا عن منازل الطّلب والاستدلال إلى جَمْع ساحات القُرب والوصال.

حُلْ بيننا وبين مساكنة الأمثال والأشكال، بما تلاطفنا به من وجود الوصال، وتكاشفنا به من شهود الجلال والجمال.

أرْشِدْنَا إلى الحقّ لئلّا نتّكل على وسائط المعاملات، ويوقع على وجه التّوحيد غبار الظّنون وحسبان الإعلال.

اهدنا الصّراط المستقيم أي أزِلْ عنّا ظلماتِ أحوالنا لنستضيء بأنوار قُدْسِك، عن التفيّؤ بظلال طلبنا، وارفع عنّا ظلّ جهدنا لنستبصر بأنوار جودك، فنجدك بك.

اهدنا الصراط المستقيم حتّى لا يصحبنا قرين من نزغات الشّيطان ووساوسه، ورفيق من خطرات النّفوس وهواجسها، أو يصدّنا عن الوصول تعريج في أوطان التّقليد، أو يحول بيننا وبين الاستبصار ركون لمعتاد من التّلقين، وتستهوينا آفَةٌ من ظنّ أو عادةٍ، أو كَلَلٍ أو ضعفِ إرادةٍ، أو طمعِ مالٍ أو استزادة.

ويقال طريق من أفنيتهم عنهم، وأقمتهم بك لك، حتّى لم يقفوا في الطّريق، ولم تصدّهم عنك خفايا المكر.

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالقيام بحقوقك دون التعريج على استجلاب حظوظهم.

ويقال صراط من طهّرتهم عن آثارهم حتّى وصلوا إليك بك.

ويقال صراط من أنعمت عليهم حتّى تحرّروا من مكائد الشّيطان، ومغاليط النّفوس، ومخاييل الظّنون، وحسبانات الوصول قبل خمود آثار البشريّة.

ويقال صراط من أنعمت عليهم بالنّظر والاستعانة بك، والتّبرُّأ من الحول والقوّة، وشهود ما سبق لهم من السّعادة في سابق الاختيار، والعلم بتوحيدك فيما تُمضيه من المَسَار والمضارّ.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بحفظ الأدب في أوقات الخدمة، واستشعار نعت الهيبة.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم بأن حفظت عليهم آداب الشّريعة وأحكامها عند غلبات بَوَادِه الحقائق، حتّى لم يخرجوا عن حدّ العلم، ولم يُخِلُّوا بشيء من أحكام الشّريعة.

ويقال صراط الذين أنعمت عليهم حتّى لم تطفئ شموسُ معارفهم أنوارَ ورعهم، ولم يُضيّعُوا شيئًا من أحكام الشّرع.

ويقال صراط الذين أنعمتَ عليهم بالعبوديّة عند ظهور سلطان الحقيقة.

الإشارة: المغضوب عليهم الذين صدمتهم هواجم الخذلان، وأدركتهم مصائب الحرمان، وركبتهم سطوة الردّ، وغلبتهم بَوَاده الصدّ والطّرد.

ويقال هم الذين لحقهم ذلّ الهوان، وأصابهم سوء الخسران، فشغلوا في الحال باجتلاب الحظوظ، وهو في التّحقيق شقاء؛ إذ يحسبون أنّهم على شيء، وللحقّ في شقائهم سرّ.

ويقال هم الذين أنِسُوا بنفحات التّقريب زمانًا، ثمّ أظهر الحقّ سبحانه في بابهم شانًا؛ بُدِّلوا بالوصول بعادًا، وطمعوا في القرب فلم يجدوا مرادًا، أولئك الذين ضلّ سعيُهم وخاب ظنّهم.

ويقال غير المغضوب عليهم بنسيان التّوفيق، والتّعامي عن رؤية التّأييد. ولا الضّالّين عن شهود سابق الاختيار، وجريان التّصاريف والأقدار.

ويقال غير المغضوب عليهم بتضييعهم آداب الخدمة، وتقصيرهم في أداء شروط الطّاعة.

ويقال غير المغضوب عليهم هم الذين تقطّعوا في مفاوز الغيبة، وتفرّقت بهم الهموم في أودية وجوه الحسبان.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

من آداب الدّعاء حيث يقدّم السّائل بين يدي دعائه، حمد اللّه والثّناء عليه وتمجيده، وزادت السنّة الصّلاة على النّبيّ، ثمّ يسأل حاجته رَجاءً أن يُستجاب له.

ومن أعظم أسباب الشّفاء المجرّبة، قراءة سورة الفاتحة سبع مرّات على نيّة الشّفاء، ولو قُرئت على ماء سبع مرّات ثمّ شربها المريض كان مفيدًا وشافيًا. ويعاود ذلك مرارًا ويومًا بعد يوم، فهو من أهمّ أسباب الشّفاء بإذن اللّه.

وكذلك الدّعاء التّالي: ﴿أَسْأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ﴾ سبع مرّات.

نسأل اللّه تعالى التّوفيق

وصلّى اللّه وسلّم على سيّدنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين،

والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين.